المشرق

الوقائع الماسونيَّة

نظر انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي

كانت الماسونيَّة في بيروت ولبنان وانحاء بلاد الشام الى العهد التركيّ الاخير لا تجسر على البروز الى النور شأن كلّ من يخاف ان تُفتضح اعمالهُ (يوحنَّا ٣: ٢٠). وكأنَّها استبشرت بالحريَّة منذ احتلال الدولة المتدبة مؤملةً في وجود من يَشدُّ بأزرها من الجمعيَّات السرّيَّة الاوربيَّة. ولعلَّها استحكمت شكيمتها بزيارة «الاخ الكتلي الاحترام برزد ولهوف الاستاذ الاعظم للمحفل الاكبر الفرنسويّ» في شهر أيار الماضي فرأت الوقت مناسباً لتميط شيئاً من الستر الذي يحجبها عن اعين العموم

ولنا دليل على ذلك بنشرة نشرها آخراً احد اعضاء الماسونيَّة البيروتيَّة ألا وهي مجلة «الوقائع الماسونيَّة لمؤلفها وناظم عقدها الاخ «يوسف الحاج». فتراها برزت بثوب قشيب عليهِ الرموز الماسونيَّة: النجمة الباعثة باشعَّتها على اقطار المعمور والنسر ذو الراسين وفي برائنهِ سيف السلطة ليحطِّمهُ ثمَّ الدائرة والهلال والبيكار والزاوية حتَّى التاج والصليب تمويهاً على اصحاب الدين والدنيا مع الحرف السرّي G المُختلَف في تفسيرهِ. فسُررنا لدى نظرنا الى هذه الواجهة الحُسنى وسفور الماسونيَّة عن وجهها الوضَّاح. ولم يُرِبنا شيء من محاسنها الباطنيَّة الَّا كلمةٌ صغيرة قرأناها تحت عنوانها وتلك قولها «وهي (اي مجلة الوقائع الماسونيَّة) محصورة بالاخوان فقط» فيا لله كيف لم يرَ صاحب المجلَّة انَّهُ بهذه العبارة يكسف ذاك النور الباهر المنبعث من الشمس الماسونيَّة ويحصرهُ في المتنوّرين الذين لا حاجة اليهم بهِ. فيا خيبة أملنا اذ كنَّا نرجي خيراً بمطالعة هذه المجلَّة التي لولا «احد الاخوان الاحرار» بقيت مستورةً عنَّا دون ان نستنير بضيائها الساطعة!

ولكن دعنا من الواجهة واشكالها الملتبسة التي وعدنا صاحب الوقائع « شرح رموزها » هلمَّ بنا نتصفَّح المجلَّة لنستضيء بانوارها

واوَّل ما نجدهُ في باطن الغلاف انَّ « الماسونيَّة جمعيَّة خيريَّة غرضُها ترقية الفكر بدراسة كلِّيات الادب والعلوم والصنائع والفنون وممارسة عمل الخير »

فهذه نغمةٌ قد سمعناها غير مرَّة من ابناء الارملة وحتَّى الآن لم نجد لها صدًى في اي بلدٍ كان . فهيا حدِّقنا النظر الى اخبار الامم وبحثنا البحث المدقَّق لنطَّلع على اعمال الماسونيَّة الخيريَّة خابت آمالنا بل تحقَّقنا كذب هذا المدَّعى . وبرهاننا قريب فليدلُّنا الفرمسون في كلّ سوريَّة ولبنان وفلسطين ومصر على مشروع خيري تقوم به تلك الشيعة باسمها ويُعرَف بها ما لم يكن في فلك القمر فلم يبلغنا خبرهُ . وقد فنَّدنا هذه الاكاذيب بفصل واسع في كتابنا السرّ المصون في شيعة الفرمسون (١ : ١٧ — ٢١)

واوردنا إقرار الفرمسون انفسهم في انَّ جمعيَّتهم ليست خيريَّة

وما هي ترى تلك « ترقية الفكر البشري بدراسة كليات الادب والعلوم والصنائع والفنون ؟ » هذا كذبٌ آخر اقطع من الاوَّل . يُرقّي الفكر البشري بالعلوم الادبيَّة والدينيَّة والفنيَّة . فاين يا ترى جمعيَّة ماسونيَّة تسعى بنشر الآداب والفنون ؟ وانَّنا نسكت عن العلوم الدينيَّة وهي الدَّاعية اليها . أيعرف الماسون مدرسة جامعة او كلِّيَّة او مكتباً علمياً او صناعياً يتولاها « الاخوان » ويبذلون عنها الدرهم رخيصاً فليذكروا لنا ذلك نحبذهم ونطري سعيَ غرضهم . ولكن هيهات !

ثمَّ أتبع الاخ ٣٣ يوسف افندي الحاج وصفهُ للماسونيَّة بقوله انَّها « تحرِّم في مجتمعاتها تحريماً قطعياً كلَّ مناقشة دينيَّة او سياسيَّة . . . او القدح في اعمال السلطة الدينيَّة والحكومة » . هذا كذبٌ ثالث تشهد لهُ كلّ صفحة من تاريخ الماسونيَّة في كلّ البلاد منذ نشأتها من اوائل القرن الثامن عشر الى يومنا الحاضر . ومن درس تاريخ الدول الاوربيَّة مذ ذاك العهد رأى للماسونيَّة يداً في كلّ ما جرى من الامور السياسيَّة المهمَّة في تلك الدول طبختها في مجتمعاتها السرِّيَّة ثمَّ انفذتها بدسائسها العديدة ومكايدها المختلفة لا يردعها في ذلك ضمير ولا يردّها سلطان . وان طلب الاخ ٣٣ يوسف الحاج شهادةً على قولنا ذكرنا لهُ إقرار احد شيوخ الماسونيَّة الاخ غونار سنة ١٨٧٦ : « كنَّا سابقاً قد ألِفنا القول على سبيل الفطنة اننا لا نتعرَّض للاديان وللسياسة . . . كنَّا

نقول ذلك احترازاً من مراقبة الشرط لتخفي عنهم ما تقضي به علينا واجباتنا الماسونيَّة. واما الآن فاني اقول جهاراً بأننا في محافلنا نشتغل بالسياسة ونعم السياسة سياستكم أيها الاخوان ».

اما معاكسة الماسونيَّة للدين وارباب فانها كالشمس في رابعة النهار لنا عليها شواهد لا تحصرها المجلدات الضخمة. وكل ذلك موضح في كتابنا السر المصون في شيعة الفرمسون الذي لم يحاول واحد من الاخوان تفنيده

فلنقلب الآن صفحات المجلة ولنجتنِ شيئاً من ثمراتها الشهية. يفتتحها صاحبها بسلام وتمهيد فيما له من كلام شعري يهدي به الكاتب سلاماً مثلثاً باسم الاخاء والمساواة والحرية على الصديق الذي اوصلهُ الى البناية الحرَّة .. الذي عرَّفهُ معنى الحياة ... الذي قادهُ برحلاته الثلث فاخرجهُ من الظلمة « بل قل انهُ ادخلهُ فيها اذ وجب عليه الآن كتمان اسراره والتستُّر وراء جدران هياكلها بعد ان تقيَّد بالحلف المغلظ على حفظ لسانه. فيا له من نور بل من تسكُّع في الظلمة !!

وكأنَّ الاخ ... يوسف لم يجد في تعريفه السابق للماسونيَّة وجهاً معقولاً عاد اليه في فصل عنونهُ « بناية الماسونيَّة » على انهُ لم يزدنا بكلامه الَّا التباساً في حقها. فتارة يصورها كمدرسة كل الفضائل قال « الماسونيَّة تبيّن لأتباعها كلَّ نقيصة لا بُدَّ من تجنُّبها وكل فضيلة يجب اتباعها طلباً للكمال » وحيناً ينعتها « بالمجتمع للبادئ والاميال المختلفة ويمزج فيها كلَّ الآراء والحالات الاجتماعيَّة ... فتحدث المناقشة والانتقاد » ومع ذلك « ليس هنالك من عقيدة مقرَّرة دينيَّة كانت او سياسيَّة ». وخلاصة الكلام انَّ الماسونيَّة « ترفع الشخصيَّة وتبنيها بينما نرى الحياة تضللها وتهدمها ... تسوق الفرد الى السعادة بمساعدته على تكوين ذاته .. تساعد على وجود النظام العام سالماً من كلّ ضغط يشوّههُ . ترفع لها هيكلاً حيث يشتغل دائماً لهيب اشواقنا الابديَّة. فهي باقية دائماً مساوية لنفسها قويَّة ببنيانها فتفتخر لكل اعدائها »

فيا لهُ من لغط لا يُدرك لهُ رأس من ذنب فمن يا تُرى يعيرنا جهراً التقف على شيء من المعميات الماسونيَّة !

ويلي هذا الفصل الحلو نبذة عنوانها « حقائق مختصر تاريخ الماسونيَّة قبل عام ١٧١٧ » يردّد فيها الكاتب كلَّ الخرافات والسفاسف التي اعتادها الماسون ليعظّموا عشيرتهم

فلا يخجل أن يذكر هناك تلك الآراء المتضاربة والاقوال المتباينة التي يريد ابناء الارملة ان يضللوا بها السُذَّج فهذا يرقيها الى آدم في الفردوس (بل قل الى الحيَّة التي تقمَّص فيها ابليس) وذاك الى بناء هيكل سليمان والآخر الى جماعات البنَّائين في القرون الوسطى وكفى بهذه الاقاويل دليلًا على التمويهات الماسونيَّة

ثمَّ تتبعهُ ترجمة جان تيوفيل دزاغليه وهو احد متطرِّفي البروتستانت الذي اشتغل مع فرمسون انكلترَّة لمحاربة الدين الكاثوليكيّ في القرن الثامن عشر فنعم المثل يقدِّمهُ الاخ «م. يوسف الحاج ليثبت صحَّة قولهِ انَّ الماسونيَّة لا تتعرَّض للاديان . وهناك هيكل جسم دزاغليه صوَّرهُ كرمز لطيف من تمويهات الماسونيَّة

وبعد هذا رسمان ماسونيَّان الاوَّل رسم «ف باستور» الذي «انتُخب استاذًا اعظماً (كذا) للشرق الاكبر الفرنساوي تسع سنوات متتابعة » فنسأل الاخ «م. يوسف الحاج من هو «ف باستور» ؟ فان كان اراد بهِ باستور العلَّامة الشهير فقد طاش سهمهُ فان ذاك اسمهُ لويس پستور وكان رجلًا عريقاً في الدين توفي متزوِّدًا بكل اسرار الكنيسة كما روى ذلك في ترجمتهِ الاب هرنو (المشرق ١٤ [١٩١١]: ٥١—٥٧) وان كان غيرهُ فليس هو ممَّن تشرَّفت بهِ الانسانيَّة اذ لم نجد لهُ ذكرًا في معاجم المشاهير . امَّا الجنرال بنيه (Général Peigné) فانَّهُ كاد في اوَّل الحرب الكونيَّة يسقط فرنسة في التهلكة ولذلك عُزل من منصبهِ فنعم المثال للماسون !. ومالهُ لم يذكر رجال الحرب العظام المعادين للماسونيَّة والمتأصلين في الدين كالمرشال فوش والمرشال فايول والمرشال فرنشه دسبري والجنرال كستلنو وجنرالنا المحبوب غورو . وان اراد صور كبار الماسونيَّة وجدهـا بسهولة في تاريخ أئمَّة البشر والزنادقة كربسهوبت وكليوسترو وڤولتير وروبسپيار ودانتون وامثالهم فهؤلاء مثال الكمال الماسوني!!

ولا نتعرَّض للفصل التالي في تاريخ الماسونيَّة منذ عام ١٧١٧ فانَّهُ لم يذكر منهُ الَّا بعض الاسطر وان اراد الوقوف على تفاصيلهِ فليراجع الكتب الضخمة التي ألَّفها باروبل (Barruel) وديشان (Deschamps) ومنها تواريخ لبعض الماسون لا تُنقَض شهادتهم كلوبس بلان (L. Blanc) وراغون (Ragon) وكلافل (Clavel) يفيدوهُ عن كمالات الماسونيَّة وكلّ مساوئها ومعايبها لا تجد فيما يذكرونهُ عملًا يستحقُّ الذكر والثنا.

وفي الصفحة ٩ نبذة في توحيد « الماسونيَّة بين الامم » وفي قوله احسن رد على ما يقوله في آخر المجلَّة (ص ٤٠) انَّهُ لا يُقبل في الماسونيَّة من لا يعتقد بالله او لا يؤمن بخلود النفس . ولا يجهل احد انَّ الماسونيَّة الفرنسويَّة والماسونيَّة الهولنديَّة وكثير غيرهما قد لبذوا اسم الله وجاهروا بالالحاد وبنكران خلود النفس . فتوحيد الماسونيَّة بين الامم هو مناقض رأساً هذا القول اذ يتَّحد الماسون سواء كانوا ملحدين ام معتقدين فاتِّحاد المؤمن مع الكافر يؤثم المؤمن وينفي صدق ايمانه

وبعد هذا ٥٠ كلمة الى ابناء المحافل السوريَّة « ليس تحتها كبير امر يليها فصل مفيد عنوانهُ « المحافل ووقائعها » نعلم منهُ انَّ محافل بيروت حاضراً ستَّة : ١ محفل لبنان شيخ محافل سوريَّة المتأسس منذ نحو ٥٠ سنة ٢ محفل السلام الذي يشتغل تحت رعاية الشرق الاكبر الاسكوتلندي وبتدبير رئيسهِ الدكتور اسكندر البارودي فنسال من مراحمهِ ان ينشئ شرقاً اقليميا في سوريَّة (تهلَّلي يا سوريَّة لمثل هذه البشرى !) ٣٠ محفل صيدا . تزعزع بنيانهُ مدَّةً لمَّا سرق الاخوان الاحرار صندوقهُ (راجع كرَّاسنا السادس في الماسونيَّة ص ٢٢) لكنَّ اعضاءهُ قاموا بنهضة جديدة وكفاهُ فخراً انَّ رئيسهُ هو الاخ ٠٠ فارس مشرق الشهير بالكمال الماسونيّ . ٤ محفل بيروت الذي انتخب باجماع الرأي الاخ ٠٠ محمَّد باشا مخزومي رئيساً شرفياً . ٥ محفل الرشيد المؤسس آخراً وقد ذكرنا انَّ رئيسهُ الاخ ٠٠ فضل الله ابو حلقة ٦٠ محفل فينيقية المؤسس جديداً ببراءة من الشرق الاكبر المصري ورئيسهُ الاخ ٠٠ الداماد احمد نامي بك . دُشِّن المحفل في ٥ ايَّار بمفوَّضية الاخ ٠٠ ميشال مرزا وناب عن محفل السَّلام الاخ ٠٠ ابراهيم منذر وعن محفل الرشيد الاخ ٠٠ سليمان سعد وعن محفل بيروت الاخ ٠٠ فليكس فارس . وكان سابقاً في بيروت محفل بهذا الاسم فما نجح (راجع كرَّاسنا الثاني في الماسونيَّة ص ٤٩) وقد نسي الكاتب محفل المغارة السوداء في المعاملتين فأحرقهُ الاخوان الاحرار بمنازعاتهم

ثمَّ روى صاحب الوقائع الماسونيَّة (ص ١٦) انَّ الشيعة دخلت دمشق بمساعي الامير عبد القادر . وقد اتينا سابقاً بشواهد تثبت ان الامير نبذ الماسونيَّة لمَّا عرفها كما جحدها الشيخ محمَّد عبده بعد ما تحقَّق انَّ غايتها مقاومة الملوك والباباوات (اطلب كرَّاسنا الرابع في الماسونيَّة ص ٤٠٩) وكذلك أبى الدخول فيها الشيخ جمال الدين الافغاني لمَّا

ارسل اليهِ الفرمسون في مصر وفداً يدعونهُ رسمياً الى الانضواء الى شيعتهم بقوله : «انكم تريدون أن انتظم في جماعتكم لكي تفتخروا بي امـا انا فأراني مهاناً اذا انتسبتُ اليكم» فرجعوا خائبين خجلين

ثمَّ هناك خطابان (ص١٣) الواحد « للاخ حقي بك العظم حاكم دولـة دمشق القاهُ في محفل بيروت صرَّح فيهِ للاخوان « أنَّهم لهُ وانهُ لهم » وتوسل « الى مهندس الكون الاعظم ليشدَّ همَّتهُ للقيام بالواجب نحو عشيرة البنَّائين الاحرار» . والخطاب الآخر للاخ الشيخ سليم البابا في محفل السلام « نددَّ في اصحاب الرأي فيهم الذين اذا خطبوا او وعظوا افتخرت بهم اعواد المنابر . . واذا رجعوا الى قومهم نفثوا من السموم ما يقتل عاطفة الالفة «وهذا لعمري شأن الماسوني ذي الوجهين

وتجد بعد ذلك (ص١٥–٢٠) مجموعاً واسعاً من الاكاذيب الماسونيَّة والمدَّعيات الفارغة التي يندى من ذكرها خجلا جبين كلّ رجل ذي عقل صائب ما خـلا جبين الفرمسون . اسمعْ واحكمْ قال (ص ١٥) «انَّ الماسونيَّة العمليَّة انتشرت في انحاء سوريا في اوائل التاريخ المسيحي واوائل الهجرة وقد بنى البنَّاؤون الاحرار بنايات متعدَّدة لا تزال آثارها الى الآن من الكنائس والجوامع والقلـع والاسوار » فيا لله كيف لم يستحي الاخ « يوسف الحاج من كتابة اسطر كهذه وكلّ كلمة منها كذبٌ ظاهر وهو القائل قبلاً (ص ٥) « انَّ التاريخ الماسونيَّة مظلم صعب » فكيف الآن اصبح لهُ واضحاً . يا للتناقض !

ومثلهُ كذباً وسفاسف مضحكة باب « لوائـح القوانين والشرائع الماسونيَّة من اوَّل عهدها الى اليوم » (ص١٦) فروى انَّ «اوَّل الشرائع الماسونيَّة وضعت سنة ٧١٥ ق م لمدارس البنَّائين التي انسـها نوما (كذا نوما بالتاء ! !) برمبيليوس في رومية» فكان بودنا ان يخرج مؤرخو رومية من قبورهم ليطَّلعوا على هذه الاكتشافات التي جهلوها في زمانهم واوحى بها الله الى الاخ «يوسف الحاج

واغرب من هذه اللائحة «لائحة سانت البـان سنة ٢٩٠ ب م الذي . . . ادخل الماسونيَّة الى انكلترا» . وقد ذهب شهيداً بامر الامبراطور ديوقليتوس « (كذا ديوقليتوس) ومن العجب انَّ هذا القديس سانت البان الشهيد استاذ الماسونيَّة الاعظم قد عرَّفهُ الاخ الماسونيّ اليَّا الحاج في كتابهِ الخلاصة الماسونيَّة (ص٣) وروى عنهُ انَّهُ

انشأ الماسونيّة في بريطانية العظمى عام ٩٢٦ . (كذا) وانهُ «احد الثلثة الذين ماتوا شهداء بانكلترّة عام ٢٦٨ أيام اضطهاد دقلديانوس » (كذا) فيتنج من هذه الترهات الماسونيّة انَّ الشهيد سانت البان الذي على قول الاخ اليًّا الحاج انشأ الماسونيّة سنة ٩٢٦ (كذا) واستشهد عام ٢٦٨ (كذا) هو هو الذي على قول الاخ يوسف الحاج وضع اللائحة المعروفة باسمهِ سنة ٢٩٠ (كذا) اعني ٢٢ سنة بعد موتهِ فايمُ الحق ما كنا لنظنّ ان المدة الماسونيّة يمكنها ان تهضم مثل هذه «المحشّيات» . وقس على هاتين اللائحتين عدّة لوائح كلائحة يورك سنة ٩٢٦ ولائحة ادوار الثالث سنة ١٣٥٠ الخ . ومثلها المؤتمرات الماسونيّة المزعومة التي عُقدت قبل سنة ١٧١٧ لا يتّفق عليها اثنان من المؤرخين لا بل من الماسونيين نفسهم وكلها مدوّنة في المجلّة كحقائق تاريخيّة راهنة

ثم يأتي فصل عن « الملوك والامراء الماسون الفرنساويّين » يفتتحهُ « بماسونيّة نابوليون الاوّل في مصر » وهو كلام رماهُ على عواهنهِ فانَّ ما ذكرهُ المؤرخون اجمالاً عن ماسونيّة نابوليون حدسٌ وتخمين فانَّ البعض يزعمون انَّهُ دخل الماسونيّة في جزيرة مالطة وغيرهم في باريس في محفل شارع سان مرسيل وبعضهم في مصر مدّة بعثهِ فهذه الاقوال المتضاربة تبيّن انَّ الامر غير اكيد . وعلى كلّ حال تعرف انَّ نابوليون اضحى بعد ذلك من الدّ اعداء الماسونيّة لاطّلاعهِ على دسائسها . ولولا اثنان من قوّاده كماسيريس وماسينا كان ألغى كلَّ محافل الفرمسون في فرنسة فاقنعهُ القائدان بحفظها لتكون الةً في يدهِ لتثبيت ملكهِ . ولمّا وضع نابوليون سناناً في مراقبة الجمعيّات ليمنع استقلالها طلب اليهِ الكونت مورار (C^te Muraire) ان يستثني من هذا الحكم الشيعة الماسونيّة فاجابهُ نابوليون : « كلّا ثمّ كلّا لأنَّ الماسونيّة لا بأس منها اذا بقيت تحت قبضتنا واذا استقلّت تصبح خطرة مخيفة » . ولمّا عرف نابوليون انَّ وزيرهُ فوشه (Fouchet) دخلها واخذ يدسّ الدسائس للحال عزلهُ . الّا انَّ الماسونيّة نقمت على نابوليون وتصدّت لهُ وكانت اكبر عاملٍ في خذلانهِ في حروبهِ الاخيرة وسقوطهِ . أفما كان الاحرى بالفرمسون ان يخجلوا من سعيهم في مناهضتهِ ؟ وزد على ذلك ان نابوليون بموتهِ في حضن الكنيسة وقبولهِ الاسرار الاخيرة جحد الماسونيّة فعلاً واقرَّ بمساوئها . امّا بقيّة الامراء الذين ذكرهم فانَّ تاريخ حياتهم جميعاً لمّا يسوّد وجه الماسونيّة ولا يشرّفها

ثم اورد الاخ ... يوسف الحاج فصلاً مطولاً عن وجود الله وكمالاته . فسررنا بقراءة هذا العنوان في مجلة ماسونية . ونحن نعلم انَّ عددًا عديدًا من الماسون ينكرون وجود الله . ولكن لسوء الحظ وجدنا في مقالة الكاتب امورًا ملتبسة . تقرَّ يا افندي بان الله موجود لكنيّ لا اجد في مقالتك كلمةً تدلّ على انهُ خالق المخلوقات ومخرجها من العدم الى الوجود فلا شكَّ انك تعتبر الله عزّ وجلّ كاخوتك الماسون الذين يعتقدون بوجودهِ انهُ « مهندس الكون الاعظم » اعني انهُ فقط محوّل الكائنات من صورة الى أخرى كما يفعل الكيموي والطبيعيّ والمهندس

والدليل على انَّ هذا هو معتقدك في الله تعالى انك تقول (ص٢١) : « لسنا ننكر انَّ قوى الطبيعة ازليّة لأن فعل الخلقة ازلي لا بدء لهُ ولا انتهاء . اما منذ الازل اقتضى لهذه المعلولات وجود علّة تنظمها . انَّ القوى الطبيعيّة مادّيّة آلية محضة وليست بذاتها عاقلة فتحتم اذًا وجود علّة عاقلة حرّكتها ونظّمتها على نسق متناسب لقوام الكائنات »

فنتيجة هذا القول انَّ المادّة ازليّة كالله سبحانهُ تعالى وذلك احد الاضاليل المنافية للكتب المقدّسة وتعاليم الكنيسة والعقل . اما قولك « انَّ فعل الخلقة ازلي لا بدء لهُ ولا انتهاء » فكلام ملتبس أتريد بهِ انَّ الله تعالى كما انهُ واجب الوجود منذ الازل هو ايضاً منذ الازل قادر على خلق الكائنات وانَّ هذا الكمال في الله لا بدء لهُ ولا انتهاء فذلك نسلّم بهِ . اما اذا نويت بذلك كما يظهر من قرينة كلامك انَّ الله منذ الازل خلق الكائنات وانَّ وجوده لم يسبق كيانها وانهُ لم يكوّنها بل حرّيته فكل ذلك من الاضاليل المنافية لكمالاته تعالى الدالّة على إلحاد الفرمسون وكفرهم

وفي هذه المقالة اقوال أخرى تدلّ على مذاهب مشتبهة استقاها الكاتب من موارد عكرة كقولهِ (ص٣٤) : « لسنا نعلم ان كان العنصر العامّ الذي منهُ تتولّد وتستفرد الانفس بفعل القدرة الالهيّة قابلاً ام ليس بقابل لتوليد افراد على حالة الكمال والبقاء » فما هو هذا العنصر العام؟ وكيف تتولّد منهُ الانفس كأنَّ الله ليس هو خالقها رأساً من العدم وانما يستخرجها من ذلك العُنصر العام ؟ وكذلك قولهُ (ص٢٥) عن الجسد انَّ النفس تتّخذهُ كساء ولا « يضرُّ بها ان تجدّدهُ مرارًا متعدّدة » يشير بهِ

الى مذهب التقمص الباطل الذي يزيفهُ كلّ الفلاسفة . لا بل يجعل غاية التنازع بين الحيوانات التي يفترس بعضها بعضاً ان تجدّد ارواحها كسماء جسدها فترتقي من حياتها البهيميّة الى ان تبلغ دور الانسانيّة . وهذا نوع جديد لتأييد المذهب الدروينيّ وترقي الحيوان . وبلوغه الى كمال الانسان !!

فترى مبلغ علم الفرمسون حتّى عندما يحاولون الدفاع عن الحقائق الطبيعيّة كوجود الله وخلود النفس يخلطونها بالآراء السخيفة والاقاويل الصبيانيّة

ثمّ ينقلنا الاخ ... يوسف الحاج من تلك المقالة الفلسفيّة الى خرافات جديدة تحت عنوان « الجمعيّات السرّيّة القديمة اراد بها العقائد المصريّة القديمة » نقلاً عن كتاب المذهب الروحانيّ المطبوع في مصر . فدونك اوّل هذه المقالة لتعلم سعة علم الماسونيّة بالتاريخ : « ذهب اكثر العلماء المستشرقين انّ المصريين اخذوا علومهم وتمدّنهم عن الهنود وذلك قبل مجيء المسيح بسبعة آلاف سنة قد مانس وهو احد براهمة الهند ان يفتّش البلاد فهاجر وجماعتهُ الى ارض مصر فاعمروها . فالله عليكم يا علماء الماسونيّة اعلمونا من هم المستشرقون الذين قالوا ذلك ؟ من هو مانس المذكور ؟ ما هي آثارهُ الدالّة عليه في مصر ؟ . وقس عليه بقيّة هذا الفصل المضحك فانّ اوّلهُ يدلّ على بقيّة دُرره الثمينة

ثمّ في الصفحة ٣٢ ترجمة « الاخ الكونت تولستوي فيلسوف روسيّا ورجل الحقيقة كفى بالنظر الى صورته الغريبة هناك لتعرف « أبا البولشفيين » الذين يذيقون الان مواطنهم الامرّين . وقد الحق بهذه الترجمة فصلاً بقلم تولستوي يدعاهُ « الضمير الحيّ » وانّما اراد به ان يبغّض السلطة الى الشعب وينسب الى القيصر ما يحدث من الوقائع الشائنة ليثير عليه الخواطر . وهذ ايضاً مما يوافق الروح الماسونيّة

ومن الفصول التي لم نتعرّض لها فصل « الرموز الماسونيّة » (ص ٢) يدّعي فيها الاخ ... يوسف الحاج انها نوع من العلوم الفلسفيّة . ونعم العلوم وبيّنها التهاويل الماسونيّة التي وصفناها في كتابنا « السرّ المصون » كالحراب والسيوف والمطارق وهياكل الموتى وجماجمهم والتوابيت والصدر المكشوف للخناجر والرأس المظلّل بالسيوف والنار المشتعلة تحت انف الطالب والكأس ذات الشراب المرّ والسلّم المعلّق بالهواء . فهذه هي علوم الماسونيّة الفلسفيّة فما احراها بهم وما احراهم بها !

اما القانون الماسوني الذي ختم به المجلة (ص ٤٠) في ١٥ بنداً ثم ما نقلهُ عن الدستور الماسوني في ظهر الغلاف فلا يصعب على احد نسبتهُ كلَّهُ الى غير النفاق والشعوذة بعد ما قلنا سابقاً . فهذه خلاصة الوقائع الماسونيّة وباكورة اعمال ابناء العشيرة فان شاء الله لا يحرموننا من دراري اقوالهم مرّة اخرى ولا يحصرون كنوزها بين الاخوان !

كشف الظنون عن حال الفرمسون

لمحمّد علي بن علي بن محمّد عزّ الدين الشامي العاملي

هذه الرسالة صنّفها كاتبها سنة ١٢٨٨ هجريّة ثمّ اعلن بها سنة ١٢٩٠ (١٨٧١–١٨٧٣) لمّا ابتدأت الحركة الماسونيّة تنتشر في بيروت وبعض انحاء الشام . وقد اوقفنا عليها السنة ١٩١٠ احد اصحابنا المسلمين من جبل عامل – وكنّا اشرنا اليها سابقاً في كراريسنا السرّ المصون في شيعة الفرسون (٩ : ٣٦–٣٠) وقلنا عنها انّنا فرأينا ان ننشرها هذه المرّة بتمامها لفوائدها وخصوصاً لمنفعة المسلمين الذين ينخدعون بهذه الشبرة الناقضة لاركان كلّ دين وسلطان ل . ش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله عالم الاسرار ومُسبل الاستار وصلّى الله على نور الانوار وصفوة الجبّار محمّد وآله الابرار وصحبه الاخيار . وبعد طالما وقع النزاع واضطرب الفكر وقضى بالعجب في قضيّة هذه الطائفة المشهورة بالفرمسون . فمن الناس من يزري عليهم ويتّهمهم بالزندقة ومنهم من يذبّ عنهم ومنهم الساكت عن حالهم المتحيّر في امرهم . والعمدة في ذلك اخفاء امرهم على وجه لا يمكن الاطلاع عليه الّا لمن دخل مجلسهم وصار في جملتهم . وانا اذكر لك في هذه الجملة الخفيفة الحكم في ذلك على وجه يريح فكرك ويزيح الهمّ عن قلبك

وتمام الكلام في ذلك يتوقّف على مقدّمات : احدها انّهُ لا ينبغي لعاقل ان يتكلّم بما لا يعلم ولا يزري على مجهول فانّ ذلك من الجهل المركّب لانّ صاحبهُ

اما القانون الماسوني الذي ختم به المجلة (ص ٤٠) في ١٥ بنداً ثم ما نقلهُ عن الدستور الماسوني في ظهر الغلاف فلا يصعب على احد نسبتهُ كلَّهُ الى غير النفاق والشعوذة بعد ما قلنا سابقاً . فهذه خلاصة الوقائع الماسونيّة وباكورة اعمال ابناء العشيرة فان شاء الله لا يحرموننا من دراري اقوالهم مرّة اخرى ولا يحصرون كنوزها بين الاخوان !

كشف الظنون عن حال الفرمسون

لمحمّد علي بن علي بن محمّد عزّ الدين الشامي العاملي

هذه الرسالة صنّفها كاتبها سنة ١٢٨٨ هجريّة ثمّ اعلن بها سنة ١٢٩٠ (١٨٧١–١٨٧٣) لمّا ابتدأت الحركة الماسونيّة تنتشر في بيروت وبعض انحاء الشام . وقد اوقفنا عليها السنة ١٩١٠ احد اصحابنا المسلمين من جبل عامل – وكنّا اشرنا اليها سابقاً في كراريسنا السرّ المصون في شيعة الفرسون (٩ : ٣٦–٣٠) وقلنا عنها انّنا فرأينا ان ننشرها هذه المرّة بتمامها لفوائدها وخصوصاً لمنفعة المسلمين الذين ينخدعون بهذه الشبرة الناقضة لاركان كلّ دين وسلطان ل . ش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله عالم الاسرار ومُسبل الاستار وصلّى الله على نور الانوار وصفوة الجبّار محمّد وآله الابرار وصحبه الاخيار . وبعد طالما وقع النزاع واضطرب الفكر وقضى بالعجب في قضيّة هذه الطائفة المشهورة بالفرمسون . فمن الناس من يزري عليهم ويتّهمهم بالزندقة ومنهم من يذبّ عنهم ومنهم الساكت عن حالهم المتحيّر في امرهم . والعمدة في ذلك اخفاء امرهم على وجه لا يمكن الاطلاع عليه الّا لمن دخل مجلسهم وصار في جملتهم . وانا اذكر لك في هذه الجملة الخفيفة الحكم في ذلك على وجه يريح فكرك ويزيح الهمّ عن قلبك

وتمام الكلام في ذلك يتوقّف على مقدّمات : احدها انّهُ لا ينبغي لعاقل ان يتكلّم بما لا يعلم ولا يزري على مجهول فانّ ذلك من الجهل المركّب لانّ صاحبهُ

يفعل خطأ العالم وهو جاهل . قال الله تعالى في ذمّ قوم (سورة النساء) : « ما لهم بهِ من علمٍ الّا اتباع الظنّ إنْ هم الّا يظنّون إنْ هم الّا يخرصون » وقال تعالى (سورة الاسرى) : « لا تقفُ ما ليس لك بهِ علم انّ السمع والبصر والفؤاد كلّ اولئك كان عنهُ مسئولًا » . وقال عالمٌ لجماعة من اصحابهِ : « ما علمتم فقولوا وما لم تعلموا فها » . واومأ بيدهِ الى فيهِ

(ثانيها) انّ القيل والقال وهتك أعراض الرجال غير جائز عقلًا ولا شرعاً الّا لمظلوم يُبغي عليهِ او لإقامة امر ديني كالكلام على ضالّ بيّن الضلالة تريد دفعهُ عن ضلالهِ . امّا عقلًا فلانّهُ ظلمٌ بلا داعٍ موجود وكلّ ظلم عند العقل حرام واما شرعاً فلقولهِ تعالى (سورة الحجرات) : « لا يغتب بعضكم بعضاً أيحبُّ احدكم ان يأكل لحم اخيهِ ميتاً فكرهتموهُ » الى غير ذلك ممّا نصّت عليهِ الكتب السماويّة وصرّحت بهِ السنن النبويّة

(ثالثها) انّ دفع الضرر المظنون واجبٌ والمحتمل حسنٌ عند العقل . مثلًا اذا وجدتَ في طريقك وادياً وأخبرك مُخبر انّ فيهِ سباعاً مؤذية ولك مناصٌ عنهُ بارتفاعك في سفح او سلوك طريق آخر فانّهُ يجب عليك العدول عن الوادي الى السفح او الطريق الآخر وهذا دفعُ الضرر المظنون . واذا لم تجد من يُخبرك واحتملتَ ذلك من نفسك فانهُ يحسن عقلًا سلوك السفح او الطريق الآخر لتحقّق السلامة وهذا دفع الضرر المحتمل . (فان قلتَ) أليس من اصولك أصالةُ الاباحة وردّ قول كلّ من يدّعي التحريم وتروي انّ كل شيٍ لك حلال حتّى تعلم الحرام بعينهِ وكلّ شيٍ لك مطلق حتّى يرد فيهِ نهيٌ وبهذا استحللتم قهوة البنّ وشرب الدخان وغير ذلك من الحادثات بعد النبوّة . (قُلتُ) ولكنّ ذلك فيما لا ضرر فيهِ بل وفيما لا يُظنّ فيهِ الضرر بل وفيما لا يُحتمل فانّهُ ايّ شيٍ حصل من ذلك يقطع الاصل فلا يجوز أكلُ شيٍ من الاعشاب التي يُخشى منها السمّيّة او نحو ذلك من الادواء المضرّة

(رابعها) ان ماهيّة هذه الطريقة على التمام لا يمكن ان تُعلم الّا لمن دخل في ذلك الامر وانتظم في سلكه وانّما الذي نعرفهُ على وجه الاجمال كما تواتر النقل بهِ عنهم وعن غيرهم انّ لهم مجلساً يجتمعون فيهِ وفيهِ او في داخلهِ محلٌّ للسرّ وهو في بلاد الشام موجود في مدينة بيروت فقط وان كان لهم مجالس في غيرها ولكن ليس

فيها محلّ للانتظام في سلكهم غير بيروت الآن (١ فمن اراد الدخول يكتب الى مجلس الجمعيّة يستأذن فاذا وصلت كتابتهُ سألوا مَن يثقون بهِ منهم او من غيرهم اذ لا يقبلونهُ ألّا اذا كان عاقلًا غنيًّا من ذوي البيوت فلا يقبلون من كان مجنونًا او مقفّلًا او غير موثوق بهِ في تعثّلاتهِ ولا مَن كان من السَّفلة ولا من كان فقيرًا لاسيّما اذا كان يطلب هذا الامر لفقرهِ ولا يلتفتون الى شيْ وراء ذلك من مذهب او عدالة او صناعة او غيرها . فاذا شهد عليهِ بذلك جماعةٌ وختَم الشهود على اسمهِ أُذن لهُ فيقدّم قبل دخولهِ مبلغًا من الدراهم قيل اقلّهُ اثنا عشر ذهبًا ثمّ يُرسم عليهِ تقديم ذهبٍ واحد كلّ سنة . وهذه الدراهم موضوعة في الصندوق يُعمل بها كباقي النكات ويُصرَف الناتج في مصالح مجلس الجمعيّة وفيما اذا احتاج احد من تلك الطريقة وقصدهم بل ربّما اعطوا مَن استعطاهم من غيرهم على حسب احوال اهل الشيم (٢

ثم بعد دخول هذا المجلس ينقطع العلم عن الذي دخل في الطريقة ولا يُعلم ما يصنع ولا ما يُصنَع بهِ غيٌّ او رشاد صلاحٌ ام فساد واذا خرج وسُئل لا يبدي شيئًا ولو قُطع رأسهُ . فلا ادري أهو مجرّد امان منهم لكتم سرّهم وهو في غاية البُعد ام لأيمان او عهود تؤخذ عليهِ او لعمل يربط على قلبهِ ولسانهِ كالرصد او لغير ذلك . ونقل لي جماعة عن بعض ثقاتهم انهُ يؤخذ عليهم من الأيمان الغلّظة والعهود كلٌّ حسب مذهبهِ ولا يقدر ان يبدي شيئًا من السرّ . ولكن كم سمعنا ورأينا من عهد نُبذ ويمين انتُقض ومجامع تفرّقت ومواثيق تمزّقت . نعم هم قد يستحلّونهُ ويسمون في ضررهِ ولكن ذلك لا يرفع الإشكال فكم دخل في هذه الطريقة مَن لا يخاف الضرر من ملك ذي صولة لا يخشى من احد او غريب منقطع لا يدري اين يذهب والله اعلم بحقيقة الحال وكيف كان فلم نرَ لهذه القضيّة فائدة سوى ما هو ظاهر من الائتلاف بينهم والتحابّ كما هو شأن اهل الطرائق او ازيد منهُ حتّى انّ هذه الطريقة لتسمّى بالاخويّة هذا غاية ما اطّلعنا عليهِ من ماهيّة هذه الطريقة وغايتها

(خامسها) انّ هذه الطريقة لم نجد لها اثرًا في الشرائع المقدّسة ولا كتبها الثلاثة التوراة والانجيل والقرآن ولا في اخبار احد من الرُّسل واوصيائهم . وما يُنقل عن بعض اهل هذه الطريقة من أنها من اوضاع سليمان بن داود عليهِ السلام فلم نجد لهُ

(١ قال هذا قبل انشاء المحافل المختلفة ٢) الكرَم الماسوني اعزُّ من بيضة الديك

اثرًا ولعلهُ تمويهٌ . على انها لو كانت من آثار سليمان لكان ذكرها في الكتب المقدسة من اهمّ آثار سليمان وداود المذكورة فيها واهمّ من ذكر إرم ذات العماد المذكورة في القرآن ومن قصة راغوت واستير ونشيد الانشاد المذكورة في العهد القديم ...

اذا عرفت هذه المقدمات اتضح لديك ان هذه الطريقة مجهولة الماهيَّة لا يُدرى ما كُنهها ولا ما فيها صلاحٌ او فساد ضلالٌ او رشادٌ وهل هي سحرٌ او شعبذة او نحوها من التمويهات او لمور حقَّة وحيث الحال ذلك وانَّ اهلها لا يتفوَّهون ببنت شفة ولا يظهرون امرًا من امورهم لغيرهم فلا يجوز الكلام عليهم ولا لهم بوجه من الوجوه لا بقدح ولا بمدح الَّا على ما ظهر منهم(١ كما نعرف ذلك . امَّا القدح فلانَّهُ مجرَّد غيبة وانتهاك عرض بشيْ هو مخرَّص وقد عرفتَ المنع منهُ في المقدمة الثانية واما المدح فما هو الَّا مجرَّد تكلُّم بما لا يغني وإتعاب اللسان والجنان بما هو رَجم بالغيب يعدُّكَ العقلاء فيه مكثارًا تقول ما لا تعلم وتتكلَّم بما لا يُفهم وذلك جهل مركَّب وقد وضح لك قبحهُ في المقدمة الاولى . وان بقيت مهتمًّا في اصل القضيَّة يدعوك الوسواس الى الاطلاع عليها فان كنتَ محاولَ الاطلاع على كنهها من دون الدخول في سلك اهلها كنتَ محاولًا للمحال كما عرفناكهُ في المقدمة الرابعة (١

على انَّك لو أعرتني سمعك لأرحتُك فاقول لك انَّهُ لا داعي الى الاهتمام بهذه القضيَّة ولا إتعاب الفكر فيها لانَّها ليست داعية لامر ديني(٢ فانَّا نرى الداخلين فيها على اختلاف مذاهبهم باقون على ما هم عليهِ من التديُّن بدينهم فقد دخل بيت الفرمسون في عصرنا هذا جماعة من المسلمين والنصارى وغيرهم من الفروق وخرج كلٌّ على ما هو عليه لم يتغيَّر عن حالهِ في الظاهر (٢ من مذهبهِ في التفكُّر في ذلك وطلب النفس ايَّاهُ الَّا من باب «المرء حريصٌ على ما مُنع» وهذا ليس من شأن العقلاء بل العاقل لا ينبغي لهُ ان يشغل نفسهُ الَّا بما يهمُّهُ من امر دينهِ ومعادهِ وشيْ يسير هو بلاغ من امر معاشهِ . فنتج من ذلك انَّ إهمالها احرى وترك النظر فيها اجدى على انَّهُ كم من مغطًّى لو كُشف لانكشف عن اضحوكة او مكروهٍ وكم من شيْ حقير

---

١) هذه الظواهر قد تعدَّدت اليوم بما نشروهُ في كنهم السرِّيَّة التي شاعت على الرغم منهم او ضبطت بين ابديهم مع ما كشفهُ المرتدُّون عنها فكاد لم يبقَ شيء محجوب من احوالهم

٢) بل الغالب على الداخلين في الماسونيَّة عدولهم عن الدين ومعاداة الاديان كما اثبتنا

تعظّمهُ الافئدة والابصار للجهالة بكنهه فاذا عُرف صَغُر وندم طالبهُ على طلبه . وان كنت تريد الاطلاع عليها بالدخول فيها والانتظام في سلك اهلها لإراحة الفكر من تعب القلب فعلى رسلك ما أهونَهُ لولا خطر الطريق

دونك امورًا عقلية وشرعيّة يجب ان تعتبرها . امّا (اوّلًا) فلما ذُكر من عدم معرفة ماهيّة الفرمسون وغايتهم وكلّ طالب شيْ مع عدم معرفة ماهيّته وغايته طالبٌ جاهل راكبٌ في ذلك مَتْن عمياء خابطٌ خبط عشواء . (فان قلت) كفى من الفائدة إراحة النفس من تعب الطلب واخراجها من ظلمة الجهل الى نور العلم . (قلتُ) إراحتُها في الإعراض عن الخطر اولى وكلُّ عاقل اذا رأى شيئاً لا يدري حالهُ رأى الإعراض عنهُ اجدر فاذا أدخل فيه نفسهُ وكان فيه شيْ مما يلوم نفسهُ عليه كانت جنايتهُ على نفسه واوقعها في أعظم مما فرَّ منهُ . ولقد بلغنا عن بعض عوامّ بداوة العجم انَّهُ دخل السوق ليأكل فعرض عليه الطبّاخ شيئاً من ورق العنب المحشو بالارز واللحم فقال بالفارسيّة : « اذا لم يكن ثمَّة حيلةٌ فلا معنى لهذه اللقلقة » . وامّا دعوى اخراج النفس من الجهل الى العلم فهي خدعة وسواسيّة كدعوى بعض الوساوس الى تعليم السِّحر والشعوذة وغيرها مما يكون فسادًا او بطالةً بل تعليمُ أمثال ذلك اجدر بالنفس والقادم عليها قادم على بصيرة بخلاف ما نحن فيه

(فان قلتَ) الفائدة ظاهرة وهو تحصيل الاخويّة والتحابّ . (قلتُ) نعم هذه الفائدة املّها حاصلة ويمكن ان تكون من الاستخدام او الرصديّة ولكن لا يحسن الدخول لاجلها مع عدم العلم بالماهيّة والمَ القاتل في لين الافاعي . ثم نقول زيادة على ذلك انَّ الفائدة تحصل بادنى سبب ولا حاجة الى النظم في هذا السلك الذي لا يُدرَى نوعهُ ولا جنسهُ والدخول في هذا الامر الذي لا يُعرف وجهُ الخروج منهُ . والراعي لا يُورد إبلهُ إلّا حيث يعرف مصدرها فما اقبح الانسان الذي اطلق الله سبحانهُ قلبهُ وجعلهُ وإنْ صغر حجمهُ ليسع ما في السماوات والارضين ان يغلقهُ ويربط عليه ويقصرهُ على جهة واحدة وصحبة شخص واحد او اشخاص احسنوا او اساؤوا !

امّا (ثانيًا) فلمّا ظهر لك في المقدّمة الثالثة عدم جواز المخاطرة بالنفس وحسن تجنّبها عن كلّ ضرر مظنون او محتمل لاسيّما وليست هي الّا نفس واحدة . وانت في دخولك هذا البيت مع تصميم اهله على عدم إظهار ما فيه كالداخل على بيتٍ يُحتمل فيه وجود

عقارب تلدغ وحيّات تلسع وسود تبلع فانّ العقل يأبى دخولهُ وان احتُمل وجود كتب تنفع وثياب تلمع وجواهر تتشعشع . (فان قلتَ) ارى الداخلين فيها عقلاء بل لا يدخل في هذا الامر سوى ذوي العقول ولا اراهم ينكرون على انفسهم شيئاً . (قلتُ) وما يدريك ولعلّهم ابتُلوا فصبروا وأُخذ على قلوبهم كما أُخذ عليها في إخفاء الماهيّة . على انّهُ كيف يصحّ لك ان تتأسّى بهم لمجرّد عقلهم وهل يُبتلى بالامور الكبار والداء العضال الّا العقلاء ؟ وهل تعد ابليس مجنوناً ام تعدُّ احداً من النصارى والمسلمين وغيرهم من ذوي العقول خارجاً عن حدّ العقلاء ؟ مع انّ كلّ طائفة منهم تخطّئ الاخرى ؟ وهل ظهور الفعل من شخص حاجزٌ عن الخطإ ؟ كلّا لا يقول بهِ جاهل فضلاً عن عاقل

امّا (ثالثاً) فانّا نقول لمريد الدخول في هذا البيت عرّفنا مذهبك فان كنت لستَ من اهل الكتب السماويّة كالملحدة والزنادقة وعبدة الاوثان فاصنع ما شئت لانّ ما انت فيهِ اعظم من كلّ عظيم فاذا اردت الشفاء فداوِ جُرحك الاخطر . وان كنت من اهل الكتب السمويّة كالمسلمين والنصارى واليهود قلنا لا يسوغ على شريعتك ان تدخل هذا البيت وكلُّ من دخلهُ قبلك من اهل ملّتك غافل عن وجه المنع لانهُ قد يخفى على العلماء منهم فضلاً عن الجهلاء

ولنتكلم على طريقة المسلمين اوّلاً فنقول انّ هذا البيت لا يُمنع منهُ احد من اهل النحل لنحلته واكثر اهلهِ من الهند مجوس خارجين عن الملل الثلاث . وحيث صحّ ذلك وكان هذا البيت ممّا يدخلهُ الملحد والموحّد فكيف تدخلهُ ايُّها المسلم اذ لم يظهر لك منهُ الّا الاخويّة وهي لا تجوز في مذهبك وقد قال الك ربُّك جلّ وعلا على لسان نبيك عم (سورة الممتحنة) : «ما جعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودّة» . وايضاً اذا حصل جهاد دخلتهُ ما تصنع لو تواقف الصفّان من المسلمين والمشركين وكنتَ في صفّ المسلمين وكان في صفّ المشركين او بعضهم ممن دخل هذا البيت فان قاتلتَهم بطلت الاخويّة التي لا فائدة لك غيرها وان لم تقاتلهم ورميتَ سلاحك تركتَ مذهبك الذي اوجب عليك الجهاد وكتابك الذي يقول (سورة التوبة) : «قاتلوا المشركين حيث وجدتموهم» . وايضاً اذا فعل اخوك المسلم ما يوجب الحدّ من زنى او سرقة او قتل وامرك إمامك وسلطانك بجلدهِ او قطع يدهِ او قتلهِ وكان

ممّن دخل هذا البيت فما تصنع ؟ ان فعلت بطلت الاخويّة وان تركت خالفتَ وليَّ امرك الذي قال لك الله في حقّهِ (سورة النساء) : « أطيعوا الله ورسولهُ وأُولي الامر منكم » وربك الذي قال (سورة النور) : « الزاني والزانية فاجلدوا كلّ واحد منهما مائة جلدة » وقال (سورة المائدة) : « السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما والنفس بالنفس » . وغير ذلك ممّا وجب عليك من اقامة الحدود . وايضاً اذا دعاك الاخ الفرمسوني لطعامهِ وكان ممّن يبيح لحم الخنزير وشرب الخمر وغير ذلك مما لا يباح لك في مذهبك ولم يكن في السفرة طعام يُباح لك فان لم تُجبهُ فاين الاخوية وان اجبتهُ تركتَ دينك وخالفت شريعتك

ولو اردتَ ان اسرد عليك هذا واشباههُ لطال المجال واتسع القال وفيما ذُكر مُقنعٌ لكل ذي بال . (فان قلتَ) املٌ مبني هذه الاخويّة على الامور الدنيويّة واما الدينيّة فلا بل يبقى كلٌّ على ما يوجبهُ مذهبهُ والمسلم لا يناكح المشرك ولا يأكل مما حُرم عليهِ في مذهبهِ ولا يُصلي بصلاتهِ ويقاتلهُ على الدين ويقطعهُ ويقتلهُ للحدّ الى غير ذلك وبالعكس . (قلت) على ذلك تكون الاخويّة جعليّةً اصطلاحيّةً والمحبّة ظاهريّةً قشريّة لا تستأهل خسارة مال ولا دخول في مجهول ولا اكتساب فكر ولا غير ذلك مما يوحش قاصدي هذه الطريقة ومثل هذا يحصّل باقلّ من ذلك ولا كلفة ولا استيحاش . فانّ ما هو حاصلٌ بين جملة من الدُّول في عصرنا هذا من الهدنة والتحابّ والغيرة على بعضهم بعضاً والاتحاد حتّى كأنّ الجميع دولةٌ واحدة آكدُ من الاخوّة الفرمسونيّة على هذا التقدير ما عدم اخفاء شيءٍ من الامور موجب التهمة وشغل الفكر والمودّة الحاصلة من اهل كلّ دين مع بعضهم بعضاً بل اهل كل بلاد بل اهل كل جامع من حرفة او عمل آكد وآكد

وبالجملة ايها المحدّدي قل ما شئت وقدّر ما اردت ان كانت هذه الاخويّة على النحو السابق فهي تُبيح حمى الشريعة والخروج عن جملة من احكام الله الذي انزلها على لسان نبيّهِ صلعم وآلهِ فان قصدتها وادخلتَ نفسك فيها خالفتَ بل ألحدتَ ولا خيرَ بخيرٍ بعدهُ النار ولا شرَّ بشرٍ بعدهُ الجنّة . وان كانت على النحو الثاني ذهب تعبك ضياعاً ولا ادري لك فيها فائدة وهل هي اذ ذاك الّا مُداهنة ومحبّة كاذبة ودعوى غير صائبة ويا ليت شعري هل تريد شرفاً وعزّاً يزيدك عن شرف

الاسلام وعزّه او اخولناً غير مَنْ تصطفيهم للدين. ولعلّهُ قد يجول في خاطرك ما لو اردت ابداءهُ لتقطّعت نفسك حسرات بل خفتَ من الحيطان وقلتَ: لها آذان. وارتعت من شعارك ودثارك. وليلك ونهارك. وهو انَّ الزمان قد خان. وخلا المكان من الخلّان والاخوان. والملوك لا يبأون بالصعلوك. والعمّال في اغفال والقضاة مشتغلة بالرشوان والناس عبيد الدنيا والفخار. يدورون مع الدرهم والدينار. والدين في السباق يلفّ الساق بالساق لم يبقَ منهُ الّا عبابة كصبابة الماء في قعر الاناء. وذبالة جفّ عنها الدهن فيحتاج في حفظ الجاه والعرض والمال والدين الى مداهنة الشياطين فضلًا عن الاناسين والدخول الى بيت محظوظ عاقل او مجنون فضلًا عن بيت القرمسون الذي شرّفهُ الملك بابليون وغيرهم ممّن يقومسون في العزّ ويتعدون ويرتعون في الشرف ويمرحون. (فاقول لك) لا الومك لو عرفت الماهيّة وامنت الغائلة وذلك موقوف على الدخول والدور باطل عند اهل المعقول. وقد جاء في آثار النبوّة: «دع ما يريبك الى ما لا يريبك» وجاء ايضاً: «حلالٌ بيّن وحرام بيّن وشبهات بين ذلك فمن ترك الشبهات أمن من الهلكات». وجاء ايضاً: «اخوك دينك فاحتَطْ لدينك» ومن حكم الشعر:

ونفسك فاكرم عن ادور كثيرة فما لك نفسٌ بعدها تستعيرها

على انَّ ما شكوتهُ من احوال الزمان هيّن عند اهل الهمّ واظنّك منهم وما معاتبهُ عندهم الّا خدش. انظر الى قائدهم كيف يقول:

فبات يريني الخطبَ كيف اعتدارهُ وبتُّ أريهِ الصبرَ كيف يكونُ

والى قول الاخر:

فيا نفسُ قرّي انَّما الدهر ساعةٌ ويا دهر هوّنْ حسبك الموتُ سيدانا

وهل الدنيا الّا دار زوال واهلها كركب عرّسوا ساعةً ثمّ ارتحلوا

دع الدنيا ولا تركن اليها فزخرفُها سيذهبُ عن قليلِ

وان ضحكت بوجهك فهو منها كضحكِ السيف في وجهِ القتيلِ

ولا آلوك نصحاً دَعْ طلب الجوهر من الباعة المكّاسين في الاسواق بالاثمان الغالية الكاذبين عليها لنفاقها واطلبها من معادنها ومن يُعطيها مجّاناً اجلُّ عليك وارفع للتهامة عنك وارفق بك واوثق لك. اطلب الشرف والعزّ من الله الذي لا يمنع سائلًا ولا يبخل بنائل ولا يمنّ على عطيّة فلقد قال وهو اصدق القائلين (سورة آل عمران):

«ومن يُرِدْ ثواب الدنيا نؤته منها. ومن يُرِد ثواب الآخرة نؤته منها». وقال جلّ وعزّ (سورة الطلاق): «ومن يَتَّقِ الله لا يجعل له مخرجاً ويرزقهُ من حيث لا يحتسب ومن يتوكّل على الله فهو حسبهُ انّ الله بالغُ امرهِ قد جعل الله لكلّ شيء قدرًا» وقال عزّ وجلّ من قائل (سورة العنكبوت): «والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم والله مع المحسنين»

وحيث عُرف الحال على طريقة المسلمين فاعلم انّ مثلهُ جارٍ في اهل الكتاب من النصارى واليهود فانّ اقامة الحدود ونحوها من الاحكام في الحلال والحرام والموالاة في الله والمعاداة في الله مما يشترك فيهِ الجميع وان اختلفوا في الماهيّات والشروط. والتوراة والانجيل لاسيّما الاولى مملوّان من ذلك ان اردتهُ فراجعها خصوصاً في سفر الاحكام من التوراة بل احكام التوراة اصعب من احكام القرآن. ولولا خوف الملل لأوردتُ عليك جملةً من ذلك. وكذا ما دلّ عليه العقل من عدم جواز المخاطرة بالنفس والدخول في مجهول وحسن تجنّب ما يُظَنّ فيهِ الضرر

ثمّ اقول لليهوديّ: اذا كنت ممّن دخل بيت الفرمسون وجاءك بعض من دخل هذا البيت مسلم او نصراني او مجوسيّ ودعاك يوم السبت الى مهمّ او عمل لا يمكن تأخيرهُ عن ذلك اليوم فان لم تُجبهُ فسدت الاخويّة وان اجبتهُ عطّلت سبتك وهتكت دينك. وعلى هذا قِسْ غيرهُ من الاحكام المختصّة باليهود. فان قلت ليست اخويّة توصل الى ذلك قلنا لك ما قلناهُ للمسلمين حرفاً بحرف

واقول للمسيحيّ: اذا كنتَ في صفّ القتال وامرك البطريق وكان بين العدوّ بعض من دخل هذا البيت فان قاتلتهُ بطلت الاخويّة وان تركت وخالفتَ رئيس مذهبك الذي تطلب خلاص نفسك بطاعتهِ نقضت دينك. وعلى هذا تُقاس بعض الاحكام التي تختصّ بالنصارى ومما تقدّم ثبت انهُ واجب على المسيحيّ ما يجب على المسلم واليهوديّ من التوقّف عن الدخول في هذا الامر المجهول وسبحان واهب العقول. والحمد لجلالهِ اوّلاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا وصلّى الله على انبيائهِ ورسلهِ وتابعيهم الى يوم الدين آمين

وكان ختام هذه الرسالة البديعة عصر نهار الجمعة ثاني شوّال المبارك سنة ١٢٨٨ (١٨٧١) والحمد لربّ العالمين وصلّى الله على سيّد المرسلين وآله الاطيبين

مسألة البترول

نظر تاريخي واقتصادي للاب رفائيل بخله اليسوعي

منذ سيّر الاميركي فلتن (Fulton) في سنة ١٨٠٧ الباخرة الاولى على نهر هُدْسُنْ (Hudson) حتى غرّة الجيل العشرين بقي الفحم على اختلاف انواعه الوقودَ السائد استعمالُهُ في كل بحريّات الدول الراقية. امّا في عصرنا هذا ابي العجائب والغرائب فقد جاراه رصيفٌ قدير حديث النعمة ومع ذلك كبير الحظوة لدى اعظم الامم ألا وهو البترول الذي اصبح اليوم من اخطر مواضيع السياسة والاقتصاد السياسي وقد غدت طُرق اقتنائه بكميات وافرة في مقدّمة هموم الحكومات العظمى. ومأربنا في هذه المقالة القاء نظرة سريعة على الحوادث التي افازت رصيف الفحم بمقامه السامي وشهرته الطائرة

١ لمعٌ من تاريخ البترول

كان اكتشاف اوّل آبار البترول في اميركة سنة ١٨٥٨. وحول هذا العام شرعت بعض مُدن رومانية وفي مقدمتها بكرش باستخدام البترول للاستنارة وكان ذلك غريباً جديداً في ذلك العهد. ومن سنة ١٨٦٠ الى سنة ١٨٦٣ بعد فتح الروس للقوقاز اكتشفوا منابع بترول في غاية الاتساع بشبه جزيرة أبشرون (Apchéron) على الضفّة الغربية من بحر قزبين او بحر الخزر فباشروا تعدينها بهمّة قعساء. ولم يمضِ على ذلك سنون قليلة حتى انتشر بترول مدينة باكو في كل البلاد المحيطة بالبحر المتوسط وما عمّ ان خلف فيها الزيوت النباتيّة في استنارة الافراد اعني البيوت الخاصّة دون الشوارع والطرق العامّة. وكان سبب رواجه العظيم شديدَ رُخصه. ومن نحو عشرة اعوام اكتُشفت ينابيع هامّة في المكسيك. ويوجد مثلها على جانبي جبال لُورِستان الواقعة تقريباً على الحدود بين ايران وتركية وهي التي اثارت مطامع انكلترة فحدت بها الى نشر نفوذها بل حمايتها على بلاد العجم وما بين النهرين ولا مطمح لها في كل ذلك سوى ان تجعل تعدين آبار البترول بين ايدي رعاياها دون سواهم. ففي سنة ١٩٠٩ تأسست في ايران بسعي الحكومة البريطانية شركة البترول الانكليزي

العجمي (Anglo-Persian Oil) وفي سنة ١٩١٤ في ما بين النهرين شركة البترول التركي (Turkish Petroleum C°) التي لانكلترة فيها حصّة تُذكر

ومن العجب العجاب ان البترول على حداثة عهدهِ بلغ في بريطانية العظمى مكانةً سامية جعلتهُ في السنين الاخيرة يقوم مقام الفحم بكل سفن الاسطول الانكليزي تقريباً . والالمان تهافتوا على البترول من سنين عديدة ولا تهافُت الجياع على القصاع بل كان لهم القدح المعلى في آبار غاليسية ورومانية وروسية وما بين النهرين . اما فرنسة فلم يدرك فيها للآن مثل تلك الحظوة ولو ان استعمالهُ لا يزال ينتشر فيها يوماً فيوماً بحيث لا يحوم شكٌ على كونه يسُدّ فيها مسدّ الفحم في مستقبل قريب

هلُمّ بنا الآن انستقري على جناح السرعة تاريخ البترول بفرنسة للاستفادة بما فيهِ من العِبَر لكل معتبر . كان امتحانهم لوصيف الفحم على الاقل سنة ١٨٦٤ في مدفيئة نهرية فرنساوية رست عند شاطئي نهر السين في باريس فتقاطرت الجماهير لتشاهد هذه البارجة الظريفة الغريبة بوقودها المبتكر . وفي سنة ١٨٦٩ أُحميت مراجل بعض القاطرات بالمازوت فأسفرت هذه التجربة عن نجاح كامل على مثل السابقة . والمازوت هو مادة لزجة ثقيلة يُخلفها البترول بعد التهاب عناصره المتطايرة المستخدمة في محركات السيارات والمعروفة في فرنسة باسم خلاصة البترول (essence) وقد سطعت للعيان في الاختبارين السابقين افضلية البترول على الفحم المبنيَّة على المزايا الآتية : سهولة الاحماء وسرعة تحويل الوقود الى حالة الضغط المحرّك وزيادة الحرارة الناتجة عمّا تكون مع الفحم وقلة المكان الذي تقتضيه ذخيرة البترول واخيراً تقليل عدد الأجراء المستخدمين في احماء المراجل ولاسيّما في نقل كمّية الوقود اللازمة الى عنبر البواخر

اجل ان تفوّق البترول الجلي اوانئذٍ اتمّ جلاء . فما الذي حال اذن دون قيامهِ مقام الفحم في سفن الاسطول الفرنساوي ؟ لذلك سببان كلٌ منهما اوهى من خيط العنكبوت : (الاول) استنباطهِ لترويج مصالحهم الشخصية آلافٌ من ارباب مناجم الفحم ومديريها ومهندسيها وعمّالها وهو ان فرنسة غنيّة بالفحم لكنها فقيرة بالبترول فكيف تسحب يدها من كنوز مكنوزة امامها لتمدّها الى البلاد الاجنبيّة مستطيلةً

منها بنفقات هائلة كميات الوقود العظيمة التي لا غنى عنها . وقد زاد ذوو الغايات هذا الخطر الوهمي روعاً حيث طبّلوا وزمّروا مكرّرين على أسماع الملأ النغمة الآتية : لو حدا الجهل والتهوّر بوطننا العزيز الى اتخاذ البترول رسمياً بصفة الوقود الوحيد فما اسرأ ما يكون مصير فرنسة وما اهولَ ما يغدو صحوُها من نشوتها المادية اذا نشبت بها حربٌ عوان وضرب الاعداء نطاق الحصار حول كل شواطئها ليمنعوها عن التموّن بالوقود الضروري لأسطولها بل ولوقاية حياتها الاقتصادية ؟

اما السبب الثاني الملفّق لمناهضة البترول فهو ادّعاء كون شدّة قابليّته للالتهاب خطرَ حريقٍ دائم . وقد راجت سوق هذا المدّعى الى حدّ انهُ دخل في تعليم المدارس البحريّة . والحقّ يقال ان البترول المجرّب في ذلك العهد اعني نحو سنة ١٨٧٠ كان وارداً من اميركة ومحتوياً حتى ٧٢ جزأً في المائة من المادّ المتطايرة القابلة الالتهاب . وزد على ذلك ان السفن عموماً والبوارج خصوصاً كانت يومئذٍ من خشب يُوطّده في داخل المركب بناءٌ من حديد يُشبه هيكل الجسم البشري المجرّد عن لحمه . والحالة هذه لم يكن خطر الحريق وهميًّا بل من ارهن الحقائق . ولكنه كان يمكن تخفيفهُ في نفس ذلك العهد لو استجلبت فرنسة عوضاً عن البترول الاميريكي بترول باكو المحتوي ٣٣ جزأً في المائة ليس الّا من المادّ المتطايرة السريعة الالتهاب المناسبة للاستنارة المُخلفة بعدها راسباً اسمه مازوت (mazout) صالح لاحماء المراجل لا يلتهب الّا بحرارة عالية تبلغ نحو ١٥٠ درجة من القياس المئوي وهو لا يتأثر بفعل المادّ المتفجرة . فيتّضح ان خطر الحريق الذي كان اصحاب الغايات يهوّلون الناس به كان يتوقّف دَفْعُهُ على اختيار اجود وآمن صنوف البترول . اما خطر افتقار فرنسة العارية عن الوقود الجديد الى دول اجنبيّة تموّنها به ما لم يَحُلْ الوغى دون ذلك فلم يكن الّا بعيداً بل طفيفاً . واليك شاهدين جليّين على حكمنا هذا : الاول ان بريطانية العظمى الخالية هي ايضاً من البترول لم تكترث بذلك الخطر الموهوم بل قرّرت وجوب استخدام المازوت في بوارج اسطولها وهي ملتزمة باستيرادهِ من الخارج بكميات عظيمة . والثاني ان الدول الاتفاقيّة بل والدول المركزية استطاعت اثناء الحرب الاخيرة استجلاب مِيَر وذخائر لا تحصى من وراء البحار رغماً من المصاعب الشديدة والاخطار الهائلة

وعلى كلّ حال فقد نجح دور الاغراض بفرنسة سنة ١٨٦٥ في تمويه الحقيقة على اهل الربط والحلّ وأوهموهم بان العدول عن الفحم والاقبال على البترول لمن اكبر المهالك لحياة الامّة . ومن جهة اخرى كان حينذاك ارباب السلطة والنفوذ بالبحريّة الفرنسارية في شغل شاغل بنقل الجنود من وطنهم الى المكسيك حيث دارت رحى الهيجاء فلم يضعوا امر البترول موضع الاهتمام . ثم زاد الطين بلّةً بنشوب الحرب السبعينية الوخيمة العواقب لفرنسة كما هو مشهور . فبقي امر البترول نسياً منسياً الى عهد ظهور الغوّاصات

فانها لم ترَ بُدّاً من استخدامه حيث استحال عليها حفظ المداخن(١ . وقليلاً بعد ذلك دخلت سنة ١٨٩٠ السيّارات المحماة هي ايضاً بالبترول (٢ في ميدان طرق المواصلات السريعة وحازت فيه بمدّة يسيرة قصب السبق حتى انك تكاد لا ترى سواها الآن في كل الولايات المتحدة واعظم المدن الاوربيّة . فراجت سوق البترول ايّ رواج بعد طول كسادها وكان لذلك الاقبال خير وقع في البحرية الفرنسوية الساهية منذ نحو ثلاثين سنة عن حلّ مشكل الوقود حلًّا علميّاً مُرضياً من كل جهة . واخيرًا جاء منبئاً اياها من بعثها فنّ الطيران بترقيه العجيب السرعة خصوصاً منذ سنة ١٩٠٨ ومآثره العديدة الفنانة ومحرّكاته التي هي نسيج وحدها لجمعها بين غاية القوة ومنتهى الخفّة . ومعلوم لدى القاصي والداني ان وقودها البترول او ما ضارعهُ من المواد المتطايرة الملتهبة . ومع تلك العِبَر الفصيحة الحائمة لحمها كانت البحرية الفرنساوية شديدة التعلّق بعوائدها وتقاليدها الآمرة بالمحافظة على الفحم مهما تكاثر عدد خصومه . فتأمل يارعاك الله كم تحول عادةً متأصلة ولو غير معقولة دون التقدم المادّي والادبيّ ! وفي النهاية قرّ رأي زعماء الاسطول بعد التيّا والتي على اعادة التجارب في اواخر الجيل المنصرم ليس على البترول وحده بل مرشوشاً بشكل قطرات دقيقة للغاية على الفحم

---

١) الغوّاصات الاولى وفي مقدمتها غوّاصة المهندس زده (Zédé) المصنوعة سنة ١٨٨٦ كان محرّكها في حين الغوص المزّانات الكهربائيّة (accumulateurs) لكن الاختبار اوضح افضليّة البترول عليها من عدة اوجه

٢) اول محرّك بالبترول للسيّارات اتى بنتائج مُرضية هو الذي ابتكره دَيملر (Daimler) سنة ١٨٩٠

المتأجج وقد أطلق على هذه الطريقة اسم الاحماء المختلط (chauffe mixte) . فأفرغ صانعو المراجل جعبة قرائحهم في تجهيزها بتراش البترول على النمط المذكور غير ان مساعيهم ذهبت ادراج الرياح حيث لم تأت بالفائدة المطلوبة . فاعرضت البحرية عن الاحماء المختلط الذي ابلغته بعد ذلك انكلترة الى اوج الكمال فعمد ذوو الهمة في البوارج الافرنسية إلى تجربة المازوت وحده واقبلوا عليه بعد النجاح التام . فلما شبّت نار الحرب الكونيّة كان لفرنسة عدّة سفن خفيفة مُحماة به ليس الّا والكيلغرام منه ينتج ١٣ ضعفاً من البخار . ولكن المراجل بقيت هي هي كما كانت في عهد الفحم ولم تُستخدم المحركات ذوات الالتهاب الباطن المغنية عن المراجل والجاري استعمالها في السيّارات والطيّارات الّا في النوّاصات حيث لا مندوحة عنها فيها

اما سواد الشعب فانهُ لم يعبأ بمشكل البترول حتى الحرب العظمى بيد انّهُ شرع يُعيرهُ بالًا بل يتأثر من خطورته وصعوبة حلّهِ يومَ ادرك مسيس حاجة الجيوش الذائدة عن حياض الوطن الى ذلك الوقود الجوهري لتسيير الطيّارات والسيّارات وعرف العقبات الكؤودة الحائلة دون استجلابه من اميركة او من غيرها الناجمة خصوصاً عن نشاط الغوّاصات الالمانيّة الضاربة في ذهابها وايابها المتواصل نطاقَ حصارٍ حول كل الشواطئ الفرنساوية . وزادت قلقَ الجمهور ندورةُ بترول الاستنارة وغلاؤهُ الفاحش ثم الشكوى التي بلّغتها قيادةُ الجيوش العليا في سنة ١٩١٧ الى الحكومة بسبب ازمة البترول الوخيمة العواقب وكون المؤونة الشهرية المُعيّنة بمقدار اربعين الف طُن (!) لا تصل بهذه الكميّة التي لا غنى عنها . وكانت علّة هذا التشويش الخسارة العظيمة الملتزم باحتمالها منذ شهر آب سنة ١٩١٤ الاتحاد الفرنساوي لمستوردي البترول من الخارج وقد تعهّد بازاء الحكومة منذ نشوب الحرب بتموين الجيوش . وخسارتهُ ناجمة عن صعوبة النقل البحري وغلائهِ وتعسُّر الدفع بالدولارات الاميركة . وعلى إثر تلك الحوادث المزعجة المؤلمة اخذت الحكومة على عاتقها مسؤولية هذا التموين الحيوي (١) والتمست لاجل ذلك من الرئيس والسن ان يبذل جهدهُ ويُعمل نفوذه الواسع في امدادها بكل ما تحتاج اليه من هذا الوقود . فلبّى دعوتها بأريحيّة

---

١) كان للجيش الفرنساوي في آب سنة ١٩١٤ ١٦٠ سيّارة نقل فاصبحت ٨,٥٠٠ سنة ١٩١٥ و٧٠,٠٠٠ سنة ١٩١٨ . وكان له ١٣٢ طيّارة فصارت ٦,٠٠٠ ثمّ ١٢,٠٠٠

شريفة وفي تموز سنة ١٩١٨ شكّلت فرنسة لجنة البترول ورأست عليها المسيو برانجه من مجلس الشيوخ. وناهيك بكل تلك الشؤون شواهدَ على فائق خطورة مشكل البترول في عين فرنسة اثناء الحرب الكونيّة! فصحّ قول لورد كرزن: «ان الحلفاء ساروا الى الظفر على امواج البترول»

وبحسن عناية لجنة البترول وبحكم نظامها رُتق فتق الامور فقرّرت الحكومة في تشرين الثاني سنة ١٩١٧ تموين الجيوش كل شهر بـ ٥٥،٠٠٠ طن من الخلاصة اي البترول الصفي و ٢٥،٠٠٠ من البترول المعتاد او الحام وقد رفعت في كانون الثاني سنة ١٩٢٠ هاتين الكميّتين الى ٦٠،٠٠٠ طن من الاول و ٥٥،٠٠٠ من الثاني. امّا الاسطول المعتاد من قبل الحرب على التموّن بنفسه فكان من باب الاقتصاد خصّص سفينةً لاستجلاب البترول اللازم له من باطوم ميناء القوقاز الواقعة في شرقي البحر الاسود او من قسطنطنية الثغر الروماني على ضفّة ذلك البحر الغربيّة او لدى الاقتضاء من الولايات المتحدة والمكسيك. فسارت امورهُ على قدمٍ وساق وشرع في انشاء مستودعات عظيمة للبترول في موانئ فرنسة دفعاً للمخاطر الناتجة عن قلّة أمن النقل البحري. وقد جاءت هذه المشاريع باشهى الفوائد فقُرّر انشاء مستودعات اخر في بعض ثغور ابعد المستعمرات تعميماً للمنفعة وقد جرى ذلك الآن في الموانئ الآتية: دكار (سينغال) — فوردفرانس (عاصمة مرتينيك) — دياغو سوارس (في شمال مدغسكر) — سيغون (عاصمة الهند الصينية الفرنساوية) — نوميا (عاصمة كالدونية الجديدة) — پيايتي في جزيرة تَيتي (Tahiti) عاصمة المستعمرات الفرنسوية في اوقيانية

ولما هالت فرنسة الخسائر الفادحة والاخطار الدائمة المسبّبة لها من الغواصات الالمانية منذ اواخر سنة ١٩١٤ زادت في اسطولها البوارج الخفيفة المحماة بالبترول زيادة عظيمة فأدّت هذه لها خدماً لا تحصى سوف يُقدّرها القرّاء قدرها حين تأتي المقابلة بين الفحم ومزاحمه

من البديهي ان الرواج العجيب الفجائي الذي فاز به البترول في الجيش والاسطول الفرنساوي طول سني الحرب الضروس بل وبعدها كانت بخست قدر الفحم اي بخس وحطّت من مكانته في اعين الحكّام والرعايا. ولعلّ الطامّة الكبرى بل الضربة القاضية له بفرنسة ازمة الفحم المستفحلة في العام المنصرم ولا تزال بلاد كثيرة تحت

ثقل وطأتها . واخصُّ دواعي تلك الازمة هي كما لا يخفى من جملة اعتصابات عملة المناجم في انكلترة وشدة صعوبة النقل على السكك الحديدة وعلى الانهر نفسها بفرنسة وغيرها . كان ملايين من الفرنساويين يستضيئون بالبترول قبل سنة ١٩٢٠ بيد انه لم يدُر على خلَدهم تصميم الاستدفاء به واحماء عدد لا يُحصى من مراجل الصناعة الكبرى والوسطى بهذا الوقود الثمين . فما اشدَّ ما كانت دهشتهم يوم أعلن وكيل الحكومة العامّ في تموين البترول الى سكان باريس وضواحيها انه مستعدّ لإمداد الملّاكين وارباب المصانع بكل ما يلزمهم من هذا الوقود بل حثَّهم بمزيد الجدّ على إبدال مراجلهم المحماة بالفحم بغيرها موافقة لاستخدام البترول لعظم فضله على الفحم

وقد حان لنا الآن امعان رائد النظر العميق في المزايا العديدة التي تجعل السبق للبترول على سلفه بمراحل رغماً من رواج سوق قرنه طول الجيل الماضي تقريباً دون ادنى مزاحمة يُعتدّ بها . اما اللمعة التاريخية الآنفة فهي برهان ضمني جليّ على افضلية البترول فضلاً عن كونها طافحة بالعبر المفيدة ولعلّ خلاصتها شدّة صعوبة استنصال الفوائد القديمة ولو عاكست تيار التمدن والترقي معاكسةً بيّنة . فلا بدّ والحالة هذه من حدوث حوادث جلّى وانقلابات خطيرة تفتح عيون القوم المُبصرَ على حفظ تلك الفوائد الخادّة لرُقيّه

٢ فضل البترول على الفحم

ان استخراج البترول من آباره اهون وارخص كثيراً من استخلاص الفحم في مناجمه . حسبنا شاهداً على صعوبة هذا وفرط نفقاته أن تعدين الفحم يستلزم جيشاً جرّاراً من المعدّنين فهم يُحصَون بمئات الآلاف في فرنسة وغيرها من البلاد الغنيّة بالفحم ! زد على ذلك ان بئر المنجم ودهاليزه البالغ مجموع طولها في كثير من الظروف عشرات كيلومترات يقتضي انشاؤها ملايين من الفرنكات ولاسيّما انها محتاجة الى تخشيب غاية في الغلاء (١ ومتى استُخرج الفحم من احشاء الارض يلزم انتقاؤه ثم غسله وذلك

(١) الخشب اللازم لذلك يَرِد عادةً من اقطار اوربة الشمالية ولاسيّما نروج . ولذلك رأينا الفرّاصات الالمانية تطارد اثناء الحرب السفن الشراعيّة والبخارية الذاهبة من نروج الى انكلترة وسوقةً بالاخشاب الضرورية للمناجم البريطانية . ومن جراء تلك المطاردة نقص انتاج الفحم الانكليزي نقصاً هامّاً

امر طويل كثير النفقة . ثم ينبغي نقله من اعماق المنجم الى السفن او الشاحنات ومتى بلغت نهاية سيرها يلزم نقله ثانيةً منها الى محل استعماله . وهاتان العمليتان ارخص بدون قياس في البترول منهما في خصمه كما سترى . اخيرًا ان احماء المراجل بالفحم يقتضي تواتر إدخاله فيها بعكس ما يحدث في البترول حيث يكفي صبُّه في انائه مرةً واحدة ليوم كامل بل لايام عديدة . ومن هذا الوجه لا غير امكن في بعض الظروف الاستغناء عن ٩/١٠ العتال السابقين . زد على كل تلك عوائق الفحم وجوب تنظيف المراجل المتواتر الوعر المسالك الكثير المصاريف

اما البترول فلا تجد في استخراجه واستعماله ادنى اثر للعوائق المذكورة . فلا حاجة هنا الى بذل قناطير مقنطرة من الاصفر الرنان لحفر منجم يضاهي في عين المتحضر مدينةً تحت الارض . يكفي هنا حفر بئر ضيقة القطر فإما ينبجس البترول من فوهتها واما يُدفع اليها بالمضخات وعلى كلا الحالتين فلا حاجة لسوى نفر قليل من العتال . واذا طلبتَ حجةً دامغة على قولنا هذا ضربنا لك بصفة مثل بئرًا في الكسيك يُستخرج منها يوميًا مائة الف برميل من البترول وهناك اقلّ من خمسين عاملًا — اما نقل البترول الى معامل التقطير فانهُ يتمُّ بالقنوات والمضخات كنقل ماء الشرب وغاز الاستنارة وفي ذلك الاسارب ما فيه من السرعة والرخص الواضحين . وفي اميركة اليوم قنيٌ يُقدَّر الآن طولها بـ ٤٦،٠٠٠ كيلو متر اعني نحو مرَّة وسُدس طول دائرة الكُرة الارضية . اما قُطرها فيتراوح من خمسة الى ثلاثين سنتيمترًا . والمضخات المُصعدة للبترول من جهة منخفضة الى اخرى عالية والمسهّلة لسيله تراها هناك متتابعة والبون الفاصل بينها يختلف من ٢٥ الى ٣٠ كيلومترًا . وتُستخدم في الشتاء مثلًا محطّات لإحماء وتسييل ما يجمد منهُ بسبب الزمهرير . والبترول المصفّى في معامل التقطير تنقله الى كل اصقاع الولايات المتحدة نحو ٦٠،٠٠٠ شاحنة مصنوعة على شكل خزّانات وما يُصدَّر الى الخارج تُوسَق به سفن خاصة اطلق عليها اسم السفن البترولية . لكن الولايات المتحدة تستهلك من البترول ضعفي ما يفي اليوم بحاجة كل بقيّة اقطار المعمور !

ونذكر القراء بهذه المناسبة ان المتموّل الشهير رُكفلر لُقب ملك البترول وان المزاحمة شديدة بين شركته التجارية المسماة ستاندرد أيل (Standard Oil)

ورصيفتها الانكليزية المدعوّة رُيل دُيتش (Royal Dutch)

فلنَعُد الآن بعد هذا الاستطراد الطويل الى معامل تقطير البترول . فيها ترى ماكينات يديرها النفر القليل من العمّال تحلّل البترول الخام الى كل اجزائهِ المفيدة من خلاصات (وهي البترول المصفّى) وزيوت التدهين والمازوت والنافتين والپارافين المستعملة في صناعة أنوار اصناف الشموع والبقايا الجامدة القابلة الالتهاب وهي تستعمل كوقود في نفس عمليّة التقطير . ثم ان نقل كميّات البترول العظيمة من هذه المعامل الى السفن والشاحنات التي تذهب به الى اقاصي المعمور ايضاً آيةٌ في السهولة وقلّة النفقة بسبب امكان تسييلهِ بالقُنيّ السابق ذكرها . أجل ان انشاءها يقتضي بذل آلاف مؤلفة من الليرات ولكن متى تمّ ذلك زالت المصاريف بالكليّة او كادت بخلاف ما يحدث في نقل الفحم كما يلوح لكل ذي عينين

ونُعلم القرّاء بهذه المناسبة انّ في نيّة فرنسة انشاء قنيّ البترول من هڤر (Le Havre) وهو من اعظم موانئها على الاطلنتيك الى باريس . وبما ان باريس اعلى من ثغر هڤر اعني هڤر فمن الضروري اصعاد البترول بواسطة مضخّات جاذبة موزّعة على طول المسافة الفاصلة بين المدينتين . فيترتّب على ذلك النظام ليس فقط اقتصاد كبير في استخدام اليد العاملة بل وفي عدد قطارات البضائع ولا يخفى ما يجرُّه قطار واحد من النفقات الفاحشة ولا سيّما في الازمة الماليّة الحاضرة المتدّة بدرجات متفاوتة على كل بلاد الغبراء

واهمّ اسباب افضليّة البترول على الفحم التفوّق العظيم الذي حازتهُ في السنين الاخيرة المحرّكات بالبترول على سواها . فان الاولى وخصوصاً التي على المثال المبتكر من المهندس الالماني دِيزِل (Diesel) الشبيهة بمحرّكات السيارات لها ثلاثة اضعاف قوة المحركات بالفحم البخاريّة . واذا ضربنا صفحاً عن القوة ناظرين الى مجرّد الحرارة المُنتجة وجدنا ان كيلوغراماً من البترول يُحمي مرّة ونصف على الاقل كيلوغراماً من الفحم . فعلى الوجهين نتحقق ان للاول قصب السبق على الآخر

هلُمّ الآن لنقابل بين ثمن هذا وذاك فعلى الاثمان مدار كل الصناعة والتجارة . في شباط سنة ١٩٢٠ كان طُنّ الفحم يساوي نحو ٢٣٠ فرنكاً في ميناء هڤر حيث الفحم الانكليزي رخيص وطنّ المازوت ٤٠٠ فرنك . لكن اذا اسقطنا من المبلغ

الاخير الاقتصادات المديدة في اليد العاملة ونفقات النقل فانه يهبط الى ٢٠٠ فرنك في المحركات البخارية المحماة بالبترول والى ما دون ١٥٠ في التي أُطلق عليها اسم المحركات الانفجارية (moteurs à explosion) وهي الجاري استخدامها في السيارات فضلًا عن المصانع حيث لا تزال تنمو رواجاً ولاسيَّما التي على مِثال ديزل المشار اليها سابقاً . وقد حسب الكُنْترامیرال دُغوي (Degouy) انهُ لو أُدخلت محركات ديزل في كل السفن التجارية الفرنساوية — وكان مجموع محمولها نحو ٦٠٠،٠٠٠ طنّ في الشطر الاول من سنة ١٩٢٠ — لأصبحت فرنسة في غنى عن ملايين من طنات الفحم وزادت ثروتها بنسبة ما في ذلك الاستغناء من عجائب الاقتصاد وقد غدا القرّاء اهلًا لتقديرها قَدْرها بعد ايضاحنا اياها ولو بايجاز

هذا ولا نتمالك قبل ختام الكلام ان نذكر للبترول مزيَّةً عظيمة على وصيفهِ من الوجهة الحربيَّة فانّ الحرب وان تكن ولا سيَّما في ايَّامنا داهيةً دهياء بل مجموع كل الدواهي . فلا نكير ان الامم صغيرةً او كبيرةً لا تزال ولن تزال تُعِدّ لها عُدّتها بكل وسائل التمدّن العصري . ومن هذا القبيل يفوق البترول على الفحم ايَّ تفوُّق لكونهِ يمكّن من نفي الدخان في البوارج وبقيّة السفن اللهمَّ اذا كان لها محركات انفجارية . وما ادراك يا صاح ما الدُخان ابّان الحرب ? هو جاسوس خائن يشير سواد وجههِ الى سواد نواياه يصعد بقامتهِ الهيفاء المتلوّية الى ما فوق اعلى البروج والصواري ويُطلع بارجة العدوّ على موقع السفينة عن بعد يبلغ احياناً زهاء ٢٥ كيلومترًا ! فهل من خيانة شرّ من هذه واوخم عاقبةً وما اثمن البترول واسمى قدرهُ حيث انه يخلو منهُ بتاتاً . ودليل ذلك ان البارجة السائرة بمحرك انفجاري (١ لا ترتسم على أُفق العدوّ الّا بشكل خطّ افقي غاية في الدقة فيصبح فعلًا اصابة هذا المرمى الضئيل بالقنابل او الطوربيل مستحيلًا

واليك قبل ختم هذا الباب بعض تصريحات الاميرال فيشر الانكليزي المشهور له بطول الباع . قال « ان اتخاذ زيت البترول بصفة وقود لمحركات الباخرة موريتانية اسفر عن اقتصاد اليد العاملة فأغنى عن نحو ٣٠٠ عامل » . ولا يظنَّن القارئ ان الاميرال يعني

١) يكاد هذا المحرّك لا يخرج الآن في الاسطول الفرنساوي عن دائرة الغوّاصات وقد ولجها من ابوابٍ عديدة

بقوله مجرّد العمّال القائمين بادارة المحرّكات والّا لكان النظر فاحشاً . انما عنى كل العمّال الذين كان استعمالُ الفحم يستدعي شغلهم رأساً او ضمناً

ثم اردف هذا الاميرال بما حرفه : ان امّتنا الحمقاء (كذا) لا تعتقد بافضليّة زيوت البترول (على الفحم) والمحرّك الانفجاري (على غيره) . امّا انا فانني على يقين من ان هذين العاملين الجديدين سيحدثان انقلاباً عظيماً ليس فقط في الحرب البحرية بل وفي التجارة البحرية ! »

وهو يشير على حكومة بلاده بتجربة هذين الابتكارين في السفن القائمة بنقل البترول من الخارج الى بريطانية العظمى . ويجدر بنا ان ننوّه بهذا الاميرال العظيم معرّفين القرّاء انهُ هو الذي ادخل الغوّاصات في الاسطول البريطاني رغماً من مقاومات كل ذوي السلطة وكانوا يعتبرونها ألاعيب لا طائل تحتها

وقد اعلمتنا هو ايضاً ان انكلترة تنظر في مسألة انشاء مستودعات بترول في وسط البحار لتموين السفن عند الحاجة !

ولا نكير ان لبريطانية العظمى في الوقت الحاضر «سياسة البترول» كما يقول بعض الصحافيين . وهي قائمة في وضع اليد على آبار البترول ما امكن ولدى امتناع ذلك تسعى في عهد اتفاقات مع اصحابها او بلادها بحيث تنال انكلترة بغيتها من ذلك الوقود الجيوي بل تُقاسم المعدّنين بعض ارباحهم الطائلة

ويشير الكنترامیرال دوغوي السابق الذكر على فرنسة بان تحذو حذو جارتها وحليفتها في اتّباع «سياسة البترول» وهو يجاهر بانها تتفق كلّ الاتفاق مع سياستها في البحر المتوسط فان الجزائر والمراكش تحوي على قوله كمّيّات هامّة من البترول . وان لم تستخرج فرنسة من هاتين المستعمرتين ما يفي بعوزها فهو ينصحها بالشؤون من اميركة او بالاحرى من شواطئ البحر الاسود ولاسيّما من بلاد قوقاز ورومانية واوكرانية واخيراً عند الضرورة من ارخبيل مالازية في جنوب آسية

وقد سبق لنا القول على فائق الرواج الذي حازه البترول بفرنسة خصوصاً منذ الحرب الكونية . ومن احدث الادلّة على ذلك كون شركات السكك الحديدية تقصد الاستعاضة بالبترول عن الفحم في كل قاطراتها مُقتفيةً على آثار بلاد كثيرة ولاسيّما ولاية كاليفرنية من الولايات المتحدة . والحالة هذه فمن المرجح بل من شبه الاكيد

ن فرنسة تتبع مثل انكلترة سياسة البترول بعد ان وقفت على نتائجها

آن لنا ختم هذه المقالة التي رأينا بها امورًا غريبةً لم تكن في الحسبان ولعلَّ غربها كون وقود جديد لم ينتشر استعماله في المحرّكات الّا في اواخر الجيل المنصرم دا اليوم بل قبل الحرب من اخطر مواضيع سياسة الدول الكبرى الى حدّ كون هذه السياسة وُسمت باسمه .ولا غرو فان اقتناءهُ بكميات وافرة لتعميم استعماله و من اعظم المسائل الحيوية للعمران الحاضر

مديح قديم لمار افرام

وضعهُ القديس غريغوريوس اسقف نيس (تتمّة)

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي

٦ عبادة مار افرام ودرسهُ للاسفار المقدّسة

امّا حسن العبادة فاتّجر منها القديس افرام نقيبة الحكمة على ما ذُكر في ايوب (٢٨ : ١٣) عندما قيل : «ها حسنُ عبادتهِ حكمةٌ » الّا انّا قد ذكرنا في معناها وشرحناهُ عند ذكرنا امانتهُ وطهارته اذ اشبه بولس وطلع الى السماء مثلهُ (٢ كور ١٢ : ٢) واقتنى خرًا لا يفنى في بيعة المسيح

امّا درسُ الكتب الالهيَّة فقد أشعل لنفسهِ فيهِ مصباحاً من قول داود (٣٨ : ٤) « انَّ فيَّ تتّقد نارٌ » لأنهُ قد اشتعلت في قلب هذا القديس نارٌ من النظر الالهيّ ألهبت شوقهُ لدرس كلّ كتاب من العهدين العتيق والجديد ففتّش واستقصى وفسّر كلَّ كتاب بلفظهِ من اوّل الخليقة الى ظهور النعمة الاخيرة : وقد اظهر المعاني المكتومة في قعر الكتب (٨١٥) فنشرها وبيّنها وكان الروح القدس سراجهُ في ذلك. لم يشرب كأس الحكمة الروحانيَّة فقط المنعمة من الحكمة الالهيَّة وسقاها لغيره تعليمهِ بل ادرك ايضاً حكمة الكتب المقدّسة البرّانيَّة وما تمتاز بهِ من تقويم اللسان وتقويم المنطق مع ما تكنُّهُ في قعر المعاني فأحكم ذلك كلَّهُ وبالغ فيهِ وما وجدهُ من ذلك نافعاً ضبطهُ وما كان غير نافع اطّرحهُ وقوّم تجارتهُ في العسل والنظر بميزان العدل

ن فرنسة تتبع مثل انكلترة سياسة البترول بعد ان وقفت على نتائجها

آن لنا ختم هذه المقالة التي رأينا بها امورًا غريبةً لم تكن في الحسبان ولعلَّ غربها كون وقود جديد لم ينتشر استعماله في المحرّكات الّا في اواخر الجيل المنصرم دا اليوم بل قبل الحرب من اخطر مواضيع سياسة الدول الكبرى الى حدّ كون هذه السياسة وُسمت باسمه .ولا غرو فان اقتناءهُ بكميات وافرة لتعميم استعماله و من اعظم المسائل الحيوية للعمران الحاضر

مديح قديم لمار افرام

وضعهُ القديس غريغوريوس اسقف نيس (تتمّة)

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي

٦ عبادة مار افرام ودرسهُ للاسفار المقدّسة

امّا حسن العبادة فاتّجر منها القديس افرام نقيبة الحكمة على ما ذُكر في ايوب (٢٨ : ١٣) عندما قيل : «ها حسنُ عبادتهِ حكمةٌ » الّا انّا قد ذكرنا في معناها وشرحناهُ عند ذكرنا امانتهُ وطهارته اذ اشبه بولس وطلع الى السماء مثلهُ (٢ كور ١٢ : ٢) واقتنى خرًا لا يفنى في بيعة المسيح

امّا درسُ الكتب الالهيَّة فقد أشعل لنفسهِ فيهِ مصباحاً من قول داود (٣٨ : ٤) « انَّ فيَّ تتّقد نارٌ » لأنهُ قد اشتعلت في قلب هذا القديس نارٌ من النظر الالهيّ ألهبت شوقهُ لدرس كلّ كتاب من العهدين العتيق والجديد ففتّش واستقصى وفسّر كلَّ كتاب بلفظهِ من اوّل الخليقة الى ظهور النعمة الاخيرة : وقد اظهر المعاني المكتومة في قعر الكتب (٨١٥) فنشرها وبيّنها وكان الروح القدس سراجهُ في ذلك. لم يشرب كأس الحكمة الروحانيَّة فقط المنعمة من الحكمة الالهيَّة وسقاها لغيره تعليمهِ بل ادرك ايضاً حكمة الكتب المقدّسة البرّانيَّة وما تمتاز بهِ من تقويم اللسان وتقويم المنطق مع ما تكنُّهُ في قعر المعاني فأحكم ذلك كلَّهُ وبالغ فيهِ وما وجدهُ من ذلك نافعاً ضبطهُ وما كان غير نافع اطّرحهُ وقوّم تجارتهُ في العسل والنظر بميزان العدل

٧ طهارة نفسهِ وورَعهُ

واما الطهارة فقد أحكمَ وقوَّم منها في النفس والجسد ما وصلت كلّ الطاقة الطبيعيَّة اليهِ بل قد زاد على قوَّة الطبيعة حتَّى أبانَ ان ذلك كان موهبةً من النعمة فلم يطلق للنفس ان تنحرف وتتراخى في قنية القول المستقيم بل كان على الحقيقة ملكاً في نفسهِ ومتيرًا في احوال جسده. والشاهد على ذلك خبَر تلك المرأة المومسة الزانية التي كان سوَّل لها ابليس قتّال البشر خديعة بعلها المصطبغ بالعمودية الطاهرة. فدفعها هذا القديس عن الوصول الى ما أمَّلهُ منها الشرّير واجتذبها الى ان تصارع ذلك الملعون بمواعظهِ وصلواتهِ (٧٩٦) واقوالهِ الالهيَّة بعد ان نشلها ممَّا كانت عليهِ وصيَّرها عفيفةً بعد ما كانت فاسقة

واما الدموع فاني اذا رمتُ ذكرها وشرح هطلانها وجَريها الدائم من مقلتَيه ربَّما جرت اليَّ دموعهُ اذ لا استطيع ان اخوض لجَّة عبراتهِ فاشرحها بكلامي دون ان تسبَل بذكرها عبراتي. فان افرام ما كان يخلو لهُ وقت دون هطل الدموع لا في نهار ولا في ليل ولا ساعةً بل ولا لحظةً ولا اذكر اني رأيت عينهُ قط ناشفةً بل كان يبكي تارةً جهارًا وتارةً سرًّا وكان يقول انَّ بكاءهُ على زلَّاته. وكان ربَّما يقطع بكاءهُ بتنهُّدات وزفرات وربَّما استدعت الزفرات بكاءهُ فكان بروز هذين الشيئين بالتناوب احدهما سبب للآخر فالزفرات تولِّد فيهِ الدموع والدموع تستدعي الزفرات. وكان السبب في ذلك مجهولًا عند الكثيرين لانَّ الزمان ما كان يفصل فيما (٧٩٧) بينهما بل كانت الدموع دوبًا تتبدَّل بالزفرات والزفرات بالدموع وكان ذلك دورًا دائرًا لا يُعرَف المبتدئ من التابع لها. وللمتأمِّل ان يشاهد ذلك في مؤلَّفاتهِ فيجدهُ فيها باكيًا ليس فقط فيما ألَّفهُ على التوبة واصلاح اخلاق البشر بل فيما كتبهُ ايضًا من المدائح التي تحمل عادةً على السرور والجذل لانَّ هذا القديس كانت صورتهُ واحدة في النعمة التي كان غنيًّا بها فانهُ يدعو سامعي اقوالهِ وبقوَّة نطقهِ الالهيّ المزوج بالدموع الى الحياة الصادقة

فمن يبلغ بهِ العتوّ وتحجُّر القلب الى ان يسمع اقوالهُ فلا يلين ولا يطرح صلابة اخلاقهِ ويرقّ لما يكون قد بَدَرَ منهُ من السيّئات؟ ومن يكون وحشيًّا في خلقهِ وعَربيًّا في مذهبهِ فينصت لشيءٍ من تعليمهِ فلا يبكي على الزمان الذي صرفهُ فيما لا

ينبغي ؟ ومن يكون غليظاً وعديماً من الانسانيَّة فيذوق حلاوة الفاظهِ ولا يسرع الى الخضوع والتآني ومحبَّة الخير ؟ ومن يكون قد ألف السرور واستهال اللذَّات(٧٩٨) والتباعُد عن الدموع والمحزنات ويتأمل قولهُ فلا يبكي ولا ينتحب ويندم على ما سلف من تفريطهِ ويتصوَّر انَّ المجازاة على ذلك منتظرة لهُ ؟ قد قيل في الامثال « أنك انَّما تسلق حجرًا » يقال ذلك في الامور المستهنة ولقد رأينا لعمري تلك الامور المستهنة متسهلة لهذا الرجل القديس لأنَّهُ جاء الى النفوس التي لا خضوع ولا ترتيبَ لها فليَّنها واقنعها بان تنثني وترجع الى الواجبات . ومن ذا الذي يطالع ميمرَهُ الذي قالهُ في التواضع فلا يبغض ويُمقت كلَّ تيه وتجبُّر ويعتبر نفسهُ اذلَّ من كلّ احد ؟ ومن يتلو قولهُ في المحبَّة ولا يحرص ان يصبر على كلّ شيّ في اقتنائها ؟ ومن يقرأ ما ألَّفهُ في البكوريَّة ولا يجتهد ان يكون طاهرًا في نفسهِ وجسمهِ ؟ ومن يتأمل اقوالهُ في يوم الدين وحضور السيّد المسيح فلا يتصوَّر انهُ واقف في ذلك المقام ومطالَب عن اعمالهِ فيقشعرّ ويرتعد من الدينونة الآتية عليهِ ويتصوَّر انهُ ان لم يرتدع تحلّ بهِ ؟ . فهكذا صوَّر الدينونة المستأنفة هذا الرجل (٧٩٩) النبويّ العظيم ووصف ذلك اليوم الرهيب حتَّى انهُ لم يدع شيئاً لم يذكرهُ بل تكلَّم فيهِ حتَّى صار وصفهُ عند الناس كأنهُ تامٌّ بالفعل . ولأنهُ قد كان التخيُّل والتصوُّر لذلك اليوم ولتلك الساعة قد بلغا من هذا القديس اقصى مبلغ كان يهرب من العالم ومن جميع ما فيهِ ويبتعد عنهُ فارًّا نازحاً ويأوي الى البراري والفيافي وينقطع الى التأمل بذاتهِ والى استماع صوت الله فيزيد ترقّياً في الفضائل لعلمهِ انَّ سكنى البريَّة يعتق الانسان ويخلّص من يريد الفرار من الشغب والاضطراب كما انَّ الصمت يجعل الانسان مخالطاً للملائكة متشاغلاً بعباداتهم متعالياً بعقلهِ الى نظر الله بحسب طاقتهِ

٨ تنقُّل القديس وسياحتهُ . دخولهُ الرها وسفره الى قيصريَّة

اما انتقال القديس افرام من موضع الى موضع فانَّ الروح القدس كان يحركهُ الى ذلك لعمارة الكثيرين ولصلاح حالهم فما كان يمانعهُ ولا يخالفهُ لانقيادهِ الى اوامر الله في كلّ شيّ انقياداً لا يشبههُ فيهِ غيرهُ . ومن ثمَّ لمَّا امرهُ الله ان يترك وطنهُ كما أمر ابراهيم الالهيّ اجاب الى ذلك وقصد مدينة الرها لانهُ ما كان (٨٠٠) يليق ان تبقى الشمس محجوبةً تحت الارض . وقد قصد من سفرهِ هذا امرين : احدهما ان

يزور المواضع المقدَّسة التي هناك والآخر ان يجتمع برجل يطابهُ من اهل الكلام فيجتني منهُ ثمرة علمهِ اوبينيلهُ هو من ثمرتهِ . فلما وصل الى باب المدينة التقى بامرأة مومسة بدلًا من رجلٍ من اهل التقى والعلم فخاب املهُ وحصل لهُ من ذلك كأبة فحدَّقت المرأة نظرها اليهِ بوقاحةٍ ونظرهو اليها شزرًا فلمَّا رأتهُ يتأملها قالت : لايّ معنًى ينظر اليَّ هذا الحكيم؟ . فاجاب القديس قائلًا : بل انت يامرأة لأيّ سبب تلقين نظرك اليَّ . قالت : امَّا انا فانني انظر الى الرجال لأني من الرِّجل خُلقتُ . امَّا انت فالاحرى بك ان تجعل نظرك الى الارض التي منها خُلقت . فلمَّا سمع افرام منها ذلك الكلام بخلاف ظنّهِ منها اعترف اعترافًا صريحًا بانهُ قد انتفع من قولها ومجَّد الله الذي يُنطق بالحكمة غير اهلها

ثمَّ سار افرام بعد هذا الى قيصريَّة القبادوق وارشدهُ الروح القدس (٨٠١) الى باسيليوس الكبير الذي هو فم الكنيسة الناطق بالآراء الذهبيَّة . فلمَّا رأى ذلك الشيخ ابتدأ بتكرمتهِ والثناء عليهِ لاسيَّما اذ ابصر بعينهِ الطاهرة حمامةً الهيَّة جاثمة على كتفهِ اليمنى توحي اليهِ بأقوال التعليم وتنقلها منهُ الى الشعب السامع . فعرف افرام ان المتكلِّم هو باسيليوس الالهيّ كما علم باسيليوس باشارة الحمامة انَّ القادم هو افرام السريانيّ . فتمتَّع كلٌّ منهما بصحبة الآخر وعلم افرام انَّ سفرهُ أحظاهُ بمرغوبهِ فلم يَعُد خائبًا

٩ هرب القديس افرام من الموبقات ومواظبتهُ على التعليم

ثمَّ ان طبيعة عقلهِ الصحيح كانت ترشدهُ الى الفرار من المضرَّات والتحفُّظ من الموبقات فكان لا يفتكر الَّا بالاعمال المختارة النقيَّة ويُؤثر ما فيهِ المنفعة ويطرح ما يعوقهُ عن التعاليم الصالحة . لأنَّ المسيح كان قد وهب لهذا الشيخ وَزَنات وافرة من الكلام ليتَّجر بها ويوزِّعها على موائد قلوب المؤمنين . وقد وجب ذلك عليهِ اكثر من غيرهِ لانهُ كان (٨٠٢) يقول انهُ أبصر عند خروجهِ من سنّ الصبا كرمةً نبتت على لسانهِ فنشأت وعظمت حتَّى ملأت الارض واستظلَّ بها كلّ طير السماء . وكانت ثمارها تنمو على قدر ما تُتطَف ويغتذي منها الطيور . وقد ذكر رجل من اهل البرّ رؤيا رآها قال : انهُ رأى جوقةً من الملائكة منحدرين من السماء ومعهم لوح طرس كبير مكتوب عليهِ من الناحيتين وكان الواحد منهم يقول في مصافهِ لصاحبهِ : الى مَن نسلِّم

هذا الطرس ؟ فكان بعضهم يقول: الى فلان وبعضهم : الى آخر . وأما ذكروا جماعة عبيد الله الصالحين قال بعضهم : لعمري انَّ هؤلاء ليس يمكنهم ان يمكوا هذا الطرس . حتَّى اتَّفقت جماعتهم فقالوا : ليس يقدر احد ان يتسلَّمهُ في زماننا غير افرام . فلمَّا انتبه الرجل الذي آثرهُ الله بتلك الرؤيا بكَّر الى (٨٠٣) البيعة سحراً وسمع افرام يعلم هناك بقولٍ غزير موشَّح بالنعمة . فتذكَّر ما رآهُ ووقف على معناهُ ومجَّد الله لِما منحهُ لعبدهِ من تلك الموهبة الفاخرة

ولغزارة ما اناله الله من الحكمة صارت مجاري كلامهِ دائرةً وكانت المعاني تتدفَّق من ذهنهِ حتَّى عجز اللسان عن استيعابها فسأل هذا الشيخُ الكبير طالباً الى الله ان يحصر فيهِ غزارة وحيهِ اليهِ قائلاً : « خفِّف يا ربِّ امواج نعمتك ، لأنَّه كان يراها كاللجَّة التي لا قعر لها فتهيج في صدرهِ ولا تترك لهُ راحةً من كثرة ما كان يتوارد على فكرهِ من الخواطر التي يقصر عن تأديتها اللسان فيقطع كلامهُ بالدعاء ويقطع الدعاء بالدموع (٨٠٤) ولم يكن يشغلهُ شيءٌ في كلّ ذلك الَّا النظر الالهيّ . وذلك انهُ كان قد امات جسدهُ مع لذَّاتهِ وجعلهُ بالنسك والامساك عبداً لرئاسة الفكر لا حراك فيهِ الى ما لا ينبغي لإنهاكهِ بالصوم . الَّا انَّ قوَّتهُ كانت تزيد في النهوض الى الاشياء النافعة التي تفيد خلاص النفس . وما كان الليل يقطعهُ عن الهجود ومجاهدة العدوّ وتعمُّد الفضيلة وما كان النهار يخدعهُ بخيالات اليقظة لأنَّ الليل كان يستلمهُ من النهار صاحياً وكان يخلفهُ بعد انصرافهِ ساهراً فلا يخالج تخيُّلٌ باطل فكرهُ وقت درسهِ . وانَّما كان يتناول من النوم الكفاف لحفظ الحياة لئلَّا ينقلب نظام الطبيعة تماماً فيصيب جسمهُ الاختلال . وكان مع ذلك يطرد النوم عن مقلتيهِ بالهجوع على الحضيض والاضطجاع على الخشن واماتة الجسم في كلّ معنى (٨٠٥)

١٠ زهد افرام بالدنيا وتواضعهُ العجيب

امَّا الزهد في القنية فانهُ بلغ فيهِ مقدار ما نسمع عن الرسل الالهيين فان رام احد ان يسمّيهُ مثالاً لكلّ الزهَّاد فلن يخطئ عن الصواب . ولنا على ذلك شاهد من كلامهِ الحلو اللذيذ الذي قالهُ عند رحيلهِ الى السماء وهو قولهُ : « انهُ لم يوجد قطّ لافرام كيس ولا عصاً ولا مزود ولا فضَّة ولا ذهب ولا غير ذلك ممَّا يُقتنى على الارض (متَّى ١٠ : ٩) لاني سمعتُ من الملك الصالح في الانجيل المقدَّس وهو يقول لتلاميذهِ : لا تقتنوا

شيئاً على الارض فلم يكن لهم شيء يؤثرون عليهِ . فهكذا كان افرام متهاوناً بالجسد وعاشقاً ما هو افضل منهُ واجلّ ومن هاهنا حصل لهُ مساواة الابسطليين (الرسل)

وما لي اذكر تواضعهُ مع انَّ اقوالهُ ومؤلفاتهِ تنادي بانَّ هذه كانت من اكبر فضائله يهتمُّ بها اكثر من كل شيء . فهيهات ان يكون نوى تزهُّداً او تكون رجلهُ عثرت بالمجد البشري وهو يلازم البكاء بغير انقطاع (٨٠٦) ويأكل الرماد مثل الخبز (مز ١٠١ : ١٠) ويمزج كأسهُ بالبكاء . وكان اذا سمع في حياتهِ احداً يمدحهُ سخط عليهِ وتبدَّل لونهُ غيظاً واطرق الى الارض فينطف العرق منهُ وينقطع كلامهُ من شدَّة الحياء الذي كان يعقد لسانهُ . وعند انصرافهِ من هذا العالم الى الحياة الدهريَّة الباقية زجر من يتعرَّض لمديحهِ فقال : لا تلحنوا لحناً على افرام ولا تمدحوهُ ولا تكفنوهُ بثوبٍ نفيس ولا تجعلوا لجسمي قبراً خاصاً فاني قد عاهدتُ الله ان يكون مضجعي مع الغرباء لأني كنت في العالم غريباً كما كان آبائي (مز ٣٨ : ١٣) . فلك ايها السامع على عظم تواضعهِ دلائل كثيرة صادقة

١١ ترحُّم افرام على المحتاجين وغيرتهُ على خلاص نفوسهم

واما رحمة افرام وتحنُّنه على القريب فانهُ ليس فقط كان ممارساً لها بل اصبح فيهما (٨٠٧) معلماً . ولانَّ زهدهُ بالمال لم يسمح لهُ ببذلهِ على المحتاجين فانهُ جعل العوض من ذلك انهاض الناس وتحريكهم بمواعظهِ المترادفة على اعمال الرحمة . فانَّ كلامهُ كان كمفتاح مصوغ من الله يفتح بهِ خزائن الاغنياء ليفرّقها على المحتاجين . وكانوا اذا شاهدوهُ يخال لهم مشاهدة الملائكة فيحرّكهم نظرهُ على التحنُّن ويجتذب من فيهِ العتوّ والغلظة الى الرأفة . وما كان احدٌ ممَّن غلبت عليهِ القحة يستطيع ان يبصرهُ ولا يستحي بل يحسّن سلوكهُ ويزيد تجمُّلاً

ولعلَّ احداً يظنّ انَّ القديس افرام بانقطاعهِ الى هذه الاعمال الفضلى الكثيرة لم يبقَ لهُ فراغٌ ليهتمَّ بامور الكنيسة . كلَّا فانهُ بتفرُّغهِ لدرس الكتب الالهيَّة وتعمُّقهِ في اسرار الديانة لم يتمكَّن فقط من ارشاد الناس ووعظهم بل امكنهُ ايضاً ان يميّز الآراء (٨٠٨) الصائبة ويقيم الحجَّة على من يخالفها . فكان بتعليمه يوضح العقائد الدينيَّة ويُحسن شرحها وبمعرفتهِ لآراء الهراطقة يوبّخ المبتدعين ويبكتهم ولا تخمد غيرتهُ في ذلك اصلاً

ومما يبيّن شدّة غيرته انّ ابوليناريوس المبتدع الفاسد الآراء القليل العقل كان صنّف تأليفين ندّد فيهما على التعاليم المستقيمة ودفعها الى امرأة كانت تخدمهُ في اللذّات لتحتفظ بهما. فانتهى خبرهما الى افرام الكبير فتريّا بزيّ اصحاب ابوليناريوس وقصد المرأة وحمل اليها بركة السيّاح ثمّ سألها ان تعيرهُ المصحفين ليقرأهما وينتفع بما ألّفهُ المعلّم حتّى يقاوم بذلك معشر المعادين للدين القويم. فتسهّل لهُ بذلك الوصول الى ما ارادهُ واجابتهُ المرأة الى ما سأل (٨٠٩) ثمّ دفعت لهُ المصحفين لظنّها انهُ من حزب ابوليناريوس وطلبت ان يعيدهما اليها. فلمّا حصل عليهما تشبّه هذا القديس الكبير بيعقوب الاب الاوّل في حيلتهِ على اخيهِ العيس لمّا ربح بكوريّتهُ. فاخذ كلّ ورقة من المصحفين وألصقها بالاخرى بغراء السمك ثمّ اعادهما الى المرأة التي لم تُبصر وقتئذٍ الى باطنهما. فلمّا مضى على هذا ايّام قلائل اوعز الشيخُ الالهيّ الى قوم من الارثذكسيين ان يستدعوا ابوليناريوس الى المناظرة فاجاب الى ذلك واثقاً بما كتب في المصحفين. فلمّا حضر للمناظرة وكان ابوليناريوس قد طعن في السنّ دفع المصحفين الى بعض اصحابهِ ليجاوبوا عنهُ لكنّهم لمّا ارادوا فتحهما لم يقدروا على ذلك بسبب التصاق (٨١٠) اوراقهما. فلمّا رأى شيخهم ذلك تغيّر لونهُ خزياً واضطربت نفسهُ وانصرف عن المجمع وصُرع وأشرف على الموت من قلّة صبرهِ على العار. فهذه كانت صورة ابينا هذا الكبير المعلّم افرام في غيرتهِ على الدين

١٢ وداعة القديس افرام وسلوكهُ في المناظرات

واما الدعة واللين فكان افرام يستعملها عادةً الّا في اوان المناظرة. فانّهُ عند الجدال كان يظهر الشهامة والحزم الشديد. وكما انهُ كان يستحقّ الثناء في صومهِ وصلاتهِ ودماثة طباعهِ في معاملاتهِ مع القريب كذلك كان في وقت المناظرة ودفاعهِ عن الايمان اهلًا بالمديح لبسالتهِ واشتدادهِ على المراطقة. فكان كالصيّاد الحاذق الذي تُمتدح غارتهُ في صيد الوحوش الكاسرة. وكمدبّر السفينة الذي تتبيّن فراهتهُ عند مقاومتهِ الريح العاصفة. وكالطبيب الحاذق الذي يُعرف فضلهُ اذا ما أنقذ المرضى من الآلام التي يصعب برؤها. وكالمقاتل الباسل الذي تتّضح شجاعتهُ عند مصادمتهِ مصافًا قويًا (١١١). فهكذا هذا القديس الغيور والحريص على حسن العبادة فانّما عُرف فضلهُ في مناضلة المقاومين للحقيقة

وبالحقيقة نقول انهُ لم يكن نوع من انواع الفضيلة الّا وقد بلغ فيهِ افرام ما لم يبلغهُ غيرهُ فيجوز ان نشبّه نفسهُ بعينٍ تدرُّ مياهاً صافية حلوة يستعذبها شاربُها وتُخصب ما يُسقى بها . او نشبههُ ببستان جميل الازهار يانع الثمار طيب الروائح . او بسماء باسطة رواقها على الارض مزيّنة بعدّةٍ من الكواكب . او بذلك الفردوس الذي كان في عدن ذي الاغراس النامية المنصوبة فيهِ الاشجار المثمرة الّا انهُ ليس فيهِ سبيلٌ الى دخول الحيّة الخبيثة . فعلى مثال هذه التشابيه تصوّرت لنا نفس افرام السعيدة وما خُصَّت بهِ من انواع الفضائل (٨١٢) المزيّنة لها

١٣ اقتداء افرام بالقديسين والآباء

وقد كان درس هذا القديس العجيب متجهاً في كل حال الى هذا الغرض الوحيد ان يجمع في نفسهِ من الفضائل ما كان يراهُ متفرّقاً في غيرهِ من القديسين . فاخذ من هابيل اوّل الصدّيقين قربانهُ المقبول ولم يقدّم مثلهُ ذبائح اغنام او شحماً او غير ذلك ممّا كان يقدَّم في العهد القديم بل قدَّم ذبيحة ناطقة لا دم فيها قدّم عبادتهُ كمحرقة اصعدها بنار الطهارة والنسك فانتقل بها مثل هابيل الى الحياة الابديّة دون ان يتمكّن عدوّ البشر من قتلهِ . وقد اشبه اخنوخ برجائهِ ولم يقتنع بان يدعو الله فقط مثلهُ وان لم ينتقل مثلهُ من الارض الى الفردوس فقد انتقل من أخلاط الهيولي الى الحياة بالروح . واماً نوح فلم يشبههُ افرام بخلاص الجنس في سفينةٍ صغيرة من خشب بل اوثق نفسهُ من كلّ ناحيةٍ (٨١٣) حتّى امكنهُ ان يخلّصها من عطب العالم دون ان يفقد شيئاً ممّا اقتنتهُ من الفضائل

وقد اشبه ابرهيم بمعانٍ كثيرة منها الامانة والدعة ومحبّة الله ولاسيّما في هربهِ من الدنيا ومن اهلهِ واقاربهِ كما هرب ابرهيم من ارضهِ وقد قرّب بإماتة جسدهِ واعضائهِ ضحيّة تنسّمها الله كضحيّة ابرهيم لابنهِ الوحيد . وبها تشبّه ايضاً باسحاق بالموت الطوعيّ الذي رضي بهِ لمّا علم انّ والدهُ تصد ذبحهُ . الّا ان ضحيّة ابرهيم لم تتمّ اماّ افرام فصار كاهناً لنفسهِ مثل السليحيين فكان كلّ يوم يتجرّد لله بحياة الروح ويقدّم لهُ اماتة جسدهِ بدلاً من روحهِ كما قدّم ابرهيم الكبش بدلاً من ابنهِ

اماّ يعقوب فقد تشبّه بهِ اذ قاوم المنشقّين عن الكنيسة ونزع عنهم حقوق بكوريّتها كما فعل يعقوب بالعيس اخيهِ واثبتها للبيعة الحقيقيّة (٨١٤) . وان لم يرَ مثلهُ

سلّماً بين السماء والارض فانّهُ رأى عمود نسرار الله فادرك غوامضها . وكأني بهِ ايضاً صار شبيهاً بيعقوب في بركاتهِ التي منحها تلاميذهِ قبل وفاتهِ كما فعل يعقوب لبنيهِ وكذلك قد اشبه يوسف بطهارتهِ وعفّتهِ كما انه على مثالهِ وزّع بُرّ التعاليم الخلاصيّة على الناس متشبّهاً بيوسف في توزيعه الغذاء على اهل مصر

اما موسى فجرى افرام على آثارهِ وهرب الى البريّة من فرعون العقلي وابصر الله في عزلتهِ بمناجاتهِ تعالى ثمّ هدى شعباً كثيراً بتعليمهِ وفوائدهِ واحتال على كتب الهراطقة كما احتال موسى على غنى اهل مصر وشقّ مثلهُ بحراً مالحاً لا يُشرَب ألا وهو بحر الكفر فاجتاز بالشعب الارثذكسي وخلّصهُ من غمرات التجديف وغرق (٨١٥) ذوي فرعون وهم اولاد الكفّار وان شئتَ فقل عماليق او الهراطقة اجمعين . ومثل موسى اخذ من يد الرب ناموس الحقّ وسلّمهُ الى المؤمنين . وقد رأى مثلهُ رَسم الخباء في الطور لا خباء هيولياً بل الخباء الرهيب الذي سيقف فيه البشر يوم الدين . وقد عُني مثلهُ في تقديس الكهنوت بما وَضعهُ من الوصايا لقداسة الكهنة . وقد اخرج مثلهُ من القلوب الحجَرة كانفجار مياه التوبة والندامة ولم يكن ذاك المنّ السماوي الذي قات بهِ موسى شعب الله الّا صورة ضعيفة لاقوالهِ التي غذا بها النفوس ودلّ بها الى ذلك الخبز الجوهريّ الذي ارسلهُ الآب لخلاص العالم وهدانا الى طريق السماء

ولو اردنا ان نقابل بينهُ وبين غير هؤلاء من افاضل القدماء لوجدنا لهُ من المآثر ما لا ينقص بها عن واحد منهم . شقّ يشوع بن نون نهر الاردن وفتح افرام (٨١٦) بتعليمهِ ايدي الاغنياء المقفلة وبسطها للعطاء على شعب ارض الميعاد العلويّة اي ملكوت السماء . خصّ نفسهُ مثل صموئيل لخدمة الله منذ صباه فسمع مثلهُ صوت الله . قرّع كايليّا كهنة السوء وأوقد في الذبيحة النارطقة لا دفعةً واحدة بل دفعات عديدة النارَ الالهيّة . وبمركبة نار من الفضائل صعد مثلهُ الى السماوات . واستغنى مثل اليشع بنعمة الروح المضاعفة واستأهل مثل الانبياء لبصر الالهيّات

بل انني لا اتوقّف عن تشبيههِ بذاك الذي كان واسطة بين الناموس والنعمة اعني بهِ يوحنّا المعمدان السابق فانّهُ قد سكن مثلهُ البريّة وصارت اليهِ مثلهُ كلمة الله فنادى مثلهُ ايضاً بالتوبة وعلّم القادمين اليهِ ان يعترفوا بخطاياهم . ومثل بولس الاناء المصطفى صبر على كثير من التجارب وما رضي بزرع بَذْر التوبة بل بالغ

مثلهُ في التبشير بالامانة(٨١٧) . وما لي أُطيل الكلام لتشبيهِ بكل واحد من القديسين وقد ملأ المسكونة كلها باعمالهِ الفاضلة . فالاطناب بالكلام عند وجود الاعمال يُنقص شيئاً من فضلها اذ يقصر اللسان عن استيفاء محاسنها

٤٠ انتقال افرام الى دار البقاء

الَّا انهُ يحسن بنا ان نزيد في الكلام شيئاً يلتذُّ السامع بذكرهِ وذلك عجيبةٌ وقعت في ساعة وفاتهِ . فان هذا الرجل الالهيَّ لما حان وقت انصرافهِ الى النعيم تقدَّم الى الحضور بان لا يكفنوهُ بكفن نفيس وان فكر احد منهم بذلك فلا يُخرج فكرهُ الى الفعل بل يدفع ما اعدَّهُ للمساكين . وكان هناك رجلٌ من الاعيان قد اعدَّ لكفن القديس ثوباً فاخراً فلمَّا سمع وصاتهُ هذه قال في نفسه : انني بدلاً من الثوب اعطي المساكين ثمنهُ فقط . فصرعهُ للوقت الشيطان ووقع طريحاً قدَّام (٨١٨) سرير القديس والزبد يخرج من فمهِ فالتفت اليهِ رجل الله المتحنِّن فقال لهُ : قل يا انسان ماذا صنعتَ حتَّى جرى عليك هذا العقاب . فنهض الرجل بأمرهِ وهو مضطرب من شدَّة صرعهِ واعترف بذنبهِ الذي فكَّر فيهِ فأبرأهُ الاب بوضع يدهِ على رأسهِ والصلاة عليهِ ثمَّ قال لهُ : تتمم الآن وعدك الذي كنتَ همتَ بهِ ولا تحرم المساكين ثوبك . فأثبتت هذه الآية في آخر عمرهِ سموَّ قداستهِ في اعين الحضور وزادتهم غيرةً في ممارسة الفضيلة

ثمَّ بعد هذا انصرف افرام الى ميتا الملكوت الدهريَّة حيث لا موت ولا اضطراب وانضمَّت الى القديسين نفسهُ الطاهرة المقبولة عند الله فاستقرَّت في المساكن السماويَّة حيث مراتب الملائكة حيث مجموع الآباء وصفوف الانبياء وكراسيّ المليحين حيث سرور الشهداء وجذل الابرار وبهاء المعلمين (٨١٩) ومحافل الأبكار ونغمة المختارين فالى ذاك المقام الجليل والمكان السعيد ارتقت نفس ابينا افرام وقد تقدَّمتهُ في صعودهِ الى الله فضائلهُ السامية التي جمعها في عمرهِ فأزرتهُ كلُّ واحدة منها ما اكسبتهُ من الحسن والجمال الذي لا يدركهُ البصر ولا يحصرهُ القول . فتقدَّمت الكبيرة من فضائلهِ وهي المحبَّة فقالت : انظري ايتها النفس المحبوبة هذا النعيم الذي بلغتهِ بممارستي . ثمَّ تبعها التواضع قائلاً : انك بواسطتي حيث انتصبتِ في العالم قد ارتفعتِ الآن الى هذه السعادة العظمى . وهكذا تقدَّمت بقيَّة الفضائل يثنين عليهِ

لكونهِ باشرهنَّ في حياتهِ ويرينهُ ما نالهُ من الجزاء بسببهنَّ

فما اشهى هذا الانصرافَ من العالم الذي يتمنَّى كلُّ واحد منَّا ان يصل الى مثلهِ. ويا لها من ميتة لا تحتاج الى دموع. وانفصال يفيد اجتماعاً ابدياً. ونقلة لا تُولي صاحبها (٨٢٠) ندامةً. ويا تجنيزاً لا يخلف وراءهُ حزناً بل سلواناً وتعزيةً بذكر فضائل الميت بينما يُخلف غيرهُ الحزن والكآبة . وذلك لأن موت القديسين يوجب السرور ويسبب الافراح وليس موتهم سوى ارتقاء الى مجدٍ اثيل ومقام شريف

فهذا لك منَّا يا افضل الآباء ويا معلّم المسكونة . اقبل عذرنا اذ تجاسر اللسان ان يهديك هديَّة لا تفي باستحقاقك . فانَّنا لم نقدم على مدحك لحاجتك اليهِ مع بُعدهِ عن وصف فضلك السامي وانَّما طلبنا بهِ منفعة الاحياء بعدك ليكون لنا قدوة وباعثاً الى الصلاح . وقد دفعتنا اليهِ اسبابٌ أخر منها انقاذك لرجل شريف من اخطار وقع فيها فهو جرّأني على التعرُّض (٨٢١) لمديحك وذلك انهُ كان وقع في اسر قوم من بني اسمعيل ولم يهتدِ الى النجاة منهم ليعرد الى وطنهِ فالتجأ اليك واستعان بك فما خاب املهُ فيك وبعد ان كان حصل في شدَّة عظيمة حتَّى أيس من الحياة ولم يكن يتوقَّع غير الموت صرخ اليك : « يا مار افرام أَغِثني » فأسرعت الى معونتهِ وارجعتهُ الى وطنهِ سالماً بنعمة شفاعتك . فهذا الرجل الوجيه هو الذي دفعني الى القاء خطابي في مديحك . فان كان كلامي قد قام بالواجب نحوك فلك يجب الشكر والمنَّة وان كان على خلاف ذلك قد بقي بعيداً عمَّا تستحقُّ فانت ايضاً لسموّ فضلك سبب قصوري وقد كنت في حياتك تحجب اعمالك وتصدُّ كلَّ من يقصد مديحك . وعلى كلّ حال (٨٢٢) قد وفينا دَيننا بحسب الطاقة ونحن على ثقةٍ بانك لا تذمُّنا ولا تصرف وجهك عن الشديدي الحرارة في محبَّة ابوَّتك بل تقبّل كلامنا كما يتقبّل الوالدان مناغاة اطفالهما عند وقوفك قرب المذبح الالهي وخدمتك للثالوث الأقدس مع الملائكة فاذكر جماعتنا واسأل الصفح عن خطايانا لنصل الى نعيم الملكوت الدهرية بيسوع المسيح ربّنا الذي لهُ المجد مع ابيهِ الذي لا ابتداء لهُ والروح القدس الالهي الآن وابداً الى دهر الداهرين آمين .

المذاهب المستحدثة

لفلاسفة الاعصر المتأخرة

لحضرة الخوري يوسف المشيقي

تمهيد

كنّا نشرنا قبل الحرب الكونيّة كتابنا المعنون بالاجوبة السديدة الذي وقع موقع الاستحسان لدى القرّاء وقد خطر على بالنا ان نلحقهُ بقسم آخر نجعلهُ كتتمّة لهُ . على أنّنا رأينا قبل نشره ان نقدّم عليهِ كتمهيد بحثًا عموميًا في المذاهب المستحدثة التي شاعت في الاعصر الاخيرة نثبتهُ في مجلّة المشرق فنذكر شيئًا من تاريخ تلك الاضاليل ومصادرها وزعمائها وما احدثتهُ من النتائج الوبيلة الى غير ذلك مما يُعدّ العقول لأبحاثنا في كلّ مذهب على حدةٍ مع تفنيدهِ

لا مشاحّة في انّ لا ألسفة بين روح الله وروح العالم . ومن ثمّ لا عجب في ان الكنيسة لم تخلُ في كلّ عصر من اعداء الدّاء أصلوها الحرب العوان . فما كادت تنتصر في الاجيال الاولى على اضطهادات الوثنيّة التي كانت تتعقّب الاجساد حتّى قام بعض العاقين من ابنائها وطفقوا يمزّقون احشاءها باضطهاد روحيّ اشدّ خطورةً واكثر تأثيرًا من اضطهاد القياصرة ولاسيّما في الجيل الثامن عشر حيث نهض لمقاومتها كثيرٌ من المتفلسفين الملحدين وشرعوا يضاعفون حملاتهم على الدين المسيحيّ وتعاليمهِ . فقُضي على الكنيسة ان تقف أمام كلّ فئة من هؤلاء المبتدعين

اجل لقد قام في كل جيلٍ وعصرٍ ملحدون كثيرون حاولوا أن يشوّهوا جمال التعاليم المسيحية بما تحرّوهُ من إنكار بعض الحقائق وأتوه من التفاسير التي لا تنطبق البتّة على حقيقة التعاليم الالهية لكنّهم مع ذلك لم يزالوا يعتقدون بعض قضايا الايمان وما انفكّوا يمارسون بعض فرائض الدين على خلاف ارباب الفلسفة المستحدثة الذين لم يكشفوا للكنيسة وجهَ عدواتهم فقط بل حاولوا ان يمحوا كلّ أثر ديني من القلوب بما لفّقوهُ واختلقوهُ من المبادئ السفسطيّة التي املتها عليهم اهواؤهم واوحاها اليهم روح

التوّ والتيه . وقد كان لهولاء في مذهب جنسانيوس (١ ما مهد لهم السبيل لتحقيق أمانيهم لان تعاليم لوتاروس في الانتخاب والاختيار المطوق والنعمة كتعاليم كلوينوس التي تنسب الشرّ لله جلّ جلاله ومبادئهما بخصوص السلطة قد أحيت جميع اضاليل مَن تقدّمهما وأثبت العقول للكفر والعصيان بحيث اصبحت تلك التعاليم اساس الفلسفة المستحدثة في الجيل الثامن عشر . ففي حضن المذهب البروتستاني نشأ فرنسوا باكون (١٥٦١—١٦٢٦) فمهّد الطريق للاباحيين ثمّ قام بعده توما هوبس (Hobbes) (١٥٨٨—١٦٧٩) وتندال (Tindall) (١٦٥٧—١٧٣٣) اللذان جاهرا بالكفر والزندقة . وقام في هولندة اليهودي باروك سبينوزا (Spinosa) (١٦٣٢—١٦٧٧) فانكر الوحي . واشتهر في فرنسة بيار بايل (P. Bayle) (١٦٤٧—١٧٠٦) بمذهب الريب واللاأدريّة . ومنذ ظهر لوتاروس في المانية انتشرت في انحائها آراء الفلسفة الكاذبة : فنفث كثيرون من البروتستانت سمّ اضاليلهم في ما لفّقوهُ من المبادئ المنافية على خطّ مستقيم جميع الحقائق الاساسيّة ففتحوا باباً واسعاً لمذاهب ناكري الوحي والاباحيّين والمتريبين والرضيّين والماديين وقد تسرّب شيء من هذه المزاعم الى بعض الكاثوليك كالقانوني بيار غسندي (P. Gassendi) (١٥٩٢—١٦٥٥) وربّه ديكرت (R. Descartes) (١٥٩٦—١٦٥٠) وبلاز پسكال (B. Pascal) (١٦٢٣—١٦٦٢) ونقولا مالبرنش (N. Malebranche) (١٦٣٨—١٧١٥) وغيرهم ايضاً

فينتج اذن انّ اصول الفلسفة المستحدثة قد نشأت خصوصاً في البلاد التي شاع فيها الاصلاح البروتستاني الموهوم اعني انكلترّة والمانية وهولندة فنقضوا اساس التعاليم الدينية وانحازوا الى اوهامهم الباطلة وكان في مقدّمتهم الانكليزيّون لُوك (N. Locke) (١٦٣٢—١٧٠٤) وصموئيل كلارك (S. Clarke) (١٦٧٥—١٧٢٩) وكولنس (Collins) (١٦٧٦—١٧٢٩) فتاهوا في بيداء الضلال وتحاملوا على الدين

---

١) جنسانيوس او كرنيليوس جنسن (C. Jansen) ولد في هولندة سنة ١٥٨٥ وتوفي سنة ١٦٣٨ اشتهر باضاليله في حقّ النعمة والحرّيّة البشريّة اودعها في كتابه المعنون باوغسطينوس مدّعياً زوراً انّها من تعاليم القديس اوغسطينوس المعلّم الشهير . وقد رذل تعاليمهُ الاحبار الرومانيّون اسكندر السابع واوربانوس الثامن واكليمنضوس الحادي عشر

المسيحي ونددوا بتعاليم الكنيسة ولم يلبث روح عدائهم ان تسرب الى فرنسة حيث انتصر لتعاليمهم ڤولتير (١ وروسو (٢ واصحاب القاموس العام (٣ الذين شرعوا منذ ذاك الوقت ينشرون مبادئهم الفاسدة وتعاليمهم الكفرية مستندين الى بعض اصحاب المقامات العالية فبثوا روح العداء ضد ارباب الدين وضد الكنيسة والجمعيات الرهبانية وعلى الخصوص الطغمة اليسوعية التي اشتهرت بعلمائها الافاضل ومرسليها الغيورين الذين وقفوا إزاء تلك الاضاليل وفندوها بالبينات القاطعة والحجج الدامغة . وقد كان ڤولتير اشد زملائه عداء لهذه الجمعية المقدسة التي كان تخرج على معلميها واقراً بفضلهم لكنه اضطرهم الى طرده من مدرستهم وهذا ما كتبهُ لاحد اصدقائه هلڤاسيوس قال : « يهمنا ان نسعى اولاً في الغاء الرهبنة اليسوعية وعندئذٍ يتيسر لنا الغاء الدين المسيحي » وهذه لعمر الحق اكبر شهادة من اعداء ابناء يسوع تدلُّ على عظم منزلتهم وما لهم من الشأن الخطير في الدين المسيحي والتربية

١) اسمهُ فرنسوا ماري أروه (F. M. Arouet) وُلد في باريس سنة ١٦٩٤ وتوفي فيها سنة ١٧٧٨ قضى حياةً سياسيَّة غاية في الاضطراب حتَّى أُلقي غير مرَّةٍ في السجن ونُفي لوقاحته وخلاعته ثم رفع لواء الكفر في زمانهِ ولم يحترم شيئاً مقدساً . وكتبهُ مشحونة بالاكاذيب التاريخيَّة والاديبَّة والدينيَّة الَّا القليل منها (طالع ما حدث لهُ قبل وفاتهِ بكتابي الاجوبة السديدة ص ٣٤ و ٣٥)

٢) جان جاك روسُّو (J. J. Rousseau) وُلد في جنيف سنة ١٧١٢ وتوفي سنة ١٧٧٨ كان ابواهُ بروتستانيين وصرف أيَّام شبوبيَّتهِ بطالعة القصص الخياليَّة وكتب الملحدين . وكفى بذكر تأليفيهِ الموسومين بالمعاهدة الاجتماعيَّة (Contrat Social) وباميل (L'Émile) تنويهاً بغرابة عقله وتطرُّفهِ في الالحاد وفساد قلبهِ

٣) القاموس العامّ معجم علميّ وتاريخي واجتماعي اتَّفق على تأليفهِ في اواسط القرن الثامن عشر عدَّة كتبة عُرفوا باسمهِ فدعوا اصحاب القاموس العام (les Encyclopédistes) وكانوا عصبةً من دُعاة الفلسفة المستحدثة فتضافروا في كتابة موادّهِ وانما كان بالواقع مجموعاً للاضاليل والنوايات والمثالب ضدّ الدين فأصبح مستودع اسلحة الكفر لمادّاة كلّ الاديان . وقد كان لديدرو (D. Diderot) (١٧١٣-١٧٨٤) ودالمبير (d'Alembert) (١٧١٧-١٧٨٣) اليد الطولى في انشائهِ . واشترك في تأليفهِ معها زنادقة من جنسها كڤولتير وروسو وكندياك (E. Condillac) (١٧١٥-١٧٨٠) وهلڤاسيوس (Helvétiurs) (١٧١٥-١٧٧١) وللالماني هولباك (D. Holbach) (١٧٦٣) (١٧٨٩) ودوبنتون (L. Daubenton) (١٧١٦-١٧٩٩) ومرمونتيل (J. F. Marmontel) (١٧٢٣-١٧٩٩) وبوفون (G. Buffon) (١٧٠٧-١٧٨٨) ومونتسكيو (Montesqieu) (١٦٨٩-١٧٥٥)

والآداب . ولكن لسوء الحظ لم يلبث نفوذ هذه الشرذمة من ارباب الفلسفة المستحدثة أن انتشر بين العامّة والخاصّة حتى في قصور ملوك اوربا بما تذرّعوا به من الحيل واتخذوه من الاسباب المهيّجة فقامت قيامة هؤلاء على المعاهد الدينيّة وخصوصاً على الرهبنة اليسوعيّة التي دافعت دفاع الابطال عن حقائق التعاليم المسيحية مفنّدة اضاليل الفلسفة الكاذبة ومبيّنة ما ينجم عنها من الاخطار العظيمة على المملكة والدين والوطن بما لا يدع مجالاً لمرتاب مّما اوغر صدور اولئك الخدّعة فازدادوا حقداً وغضباً واخذوا يثيرون الخواطر ضد الجمعية المذكورة ويتّهمونها بالدسائس والمؤامرات حتى تمكّنوا اخيراً من حمل ملوك اوربا على اضطهاد هذه الفئة من اهل البرّ ظلماً وعدواناً. ففي البرتغال قام لمناصبتها الملك يوسف الاول منقاداً لوشاية وزيره كڤاليو المعروف بپمبال (Pombal) الذي كان ينسب لها المؤامرة ضد شخص الملك !!. وفي فرنسة نهض لمقاومتها الملك لويس الخامس عشر منقاداً لوشايات وتخرصات وزيره شوازيل (Choiseul) وعشيقته پومبادور (de Pombadour) اللذين تمكّنا اخيراً من الحصول على امر من الملك لنفي آباء هذه الجمعية من مملكته ومثبتاً في الوقت عينه الاحكام التي كانت اصدرتها المجالس بشأنهم فأبطلها الملوك لظلمها

وفي اسبانية قام الامير درّاندا (d'Aranda) صديق شوازيل وزير فرنسا واخذ يحرّض الملك ويغريه على طرد اليسوعيين من مملكته أسوةً بفرنسا والبورتغال وما لبث المذكور يعمل الحيل على شارل الثالث حتى استحصل منه الاذن بطردهم . ففي شهر نيسان سنة ١٧٦٧ احاط جنود الملك في ليلة واحدة وساعة واحدة بجميع اديرة اليسوعيين في اسبانية وطردوهم بعد ان ساموهم خسفاً ونكّلوا بهم اشد التنكيل

وما حدث في اسبانية قد حدث في نابولي وصقلية وپارما ومالطة ما خلا مملكتي روسية وبروسية اللتين ما انفكتا عن معاملة هذه الجمعية الفاضلة بالحسنى إقراراً بفضلها وما لها من الخدم الجلّى والآثار المشكورة

واما غاية هذا الاضطهاد فقد ابانها صريحاً البابا اكليمنضوس الثالث عشر في رسالته الصادرة في اول تشرين الثاني سنة ١٧٦٤ . « ان اعداء الدين يعلمون حسناً أنّ لا نصرة لهم ولا فوز إلّا بتدمير هذه الجمعيّة المقدسة التي هي حصن الدين القويم »

على ان البعض من اصحاب الفلسفة المستحدثة ممن مرقوا من الدين لم يقفوا عند هذا الحدّ من بثّ روح الثورة بين العامة والخاصة واضطهاد الجمعية المشار اليها بل توفقوا اخيرًا في هدم هذا السدّ المنيع بواسطة اعوانهم ولاة ذلك العصر الذين طلبوا الى البابا اكليمنضوس الرابع عشر الغاء الرهبنة اليسوعية تحت حجج فارغة وتوعدوهُ باضطهاد الكنيسة ومناوأتها إلمّ يُجب طلبهم واتحد لهذه الغاية شوازيل في فرنسا واميرنابولي وحاكم پارما ووزير اسبانية وكڤاليو في البرتغال واستولوا على عدة اماكن من املاك الكرسي الرسولي واخذوا يواصلون طلبهم تارةً بالمجاملة وطورًا بالوعد والوعيد واحيانًا بالتهديد حتى اكرهوا البابا اخيرًا على اجابة طلبهم بالغاء هذه الطغمة الملائكية في براءته المؤرخة في الحادي والعشرين من شهر تموز سنة ١٧٧٣ تحت عنوان « Dominus ac Redemptor » وقد صار تنفيذ هذه البراءة في كل مكان على حياة الحبر المذكور الّا في روسيا وبروسية بناء على طلب ملكيهما اللذين كانا يُبجلان هذه الجمعية اعظم مبجلة من الحب والاعتبار

بيد أنّ تلك البراءة بالغاء الجمعية اليسوعية لقد أتت باسوأ النتائج وارخمها لانّ الكنيسة بالغائها الجمعية المذكورة قد فقدت اكبر انصارها والدين افضل مجاميعه والعائلة البشرية احكم مهذّبيها . ومذ ذاك الوقت خلا الجوّ لاصحاب الفلسفة الكاذبة فازدادت فلسفتهم انتشارًا وتأيدت المذاهب الكفريّة فعمّ الشقاء وساد الشقاق وانتشرت الفوضى وقامت الثورات على قدم وساق . اما البابا اكليمنضوس الرابع عشر فلم يكن يرتاح لهُ بالبعد تلك البراءة بالغاء جمعية ابناء يسوع الذين كانوا ويشهد بهِ الحق اعمدة الدين الكاثوليكي واكبر عضد للكنيسة كما كتب عنهم الاحبار الرومانيون والمؤرخون الصادقون من كاثوليك وغيرهم كثيرين لا يسعنا المقام ذكرهم (١)

(١) ويحسن بنا ان نذكر هنا ما كتبه العلّامة دي سيغور في محاماته عن الرهبنة اليسوعية (ص٢٢ من مذكراته وجه ١٣٩) (de Ségur: *Causeries, p. 139*) « ان كلوين كان يعدّ ابناء يسوع من الدّ اعدائه وعليه لم يكن يقوى على اخفاء ما اضمره من الحقد والضغينة ضدّ هؤلاء بل كان يقول جهارًا : انه ينبغي التخلّص منهم . وقد كتب بكل فحة لاحد اصحابه : اذا لم تتمكن من اهلاك هذه الفئة ينبغي على الاقل ان تسعى في طردهم وسحقهم باكاذيبنا ووشاياتنا

وقصارى الكلام قد كان من نتائج الفلسفة المستحدثة تفاقم الشرور وازدياد الثورات والمروق من الدين وثلّ العروش خصوصاً في فرنسا التي روّت ارضها بدماء

« Jesuitæ vero qui se maxime nobis opponunt aut necandi, aut si hoc commode fieri non potest, ejiciendi, aut certe mendaciis et calumniis opprimendi sunt »

على ان ابناء كلون ومن بعدهم ابناء فونتير قد تلقّوا هذا التعليم بكل امن وحرص ولم يكونوا يقصّرون في شيء مما تركه لهم اجدادهم من الوصايا والتعليمات بحق الطغمة اليسوعية . ونحن لا نحتاج الى تبرئة هذه الرهبنة الفاضلة مما قرّفها به اعداؤها حسداً وبغضاً بل ندع الكلام عنها لاشهر كتبة البروتستان واصدقهم كشول (Schœll) ورانك (Ranke) . وهاك ما اجاب به ملك فرنسة هنريكوس الرابع ديوان الندوة واساتذة كلية باريس ردّاً على ما افتروا به هؤلاء ضدّ الاباء اليسوعيين واصوم يه» : «اشكر اهتمامكم بشخصي وبما يعود الى تحسين حال المملكة . اما ما ذكرتموه من امر كلية سُرْبون مع اليسوعيين فليس فيه ما يؤلم هؤلاء ويعرّ اولئك . لان احكام كلية سُرْبون بحق اليسوعيين لم تستند الى قواعد الحكمة والعدل لان اصحابها حكموا عليهم قبل ان يعرفوهم كما فعلتم انتم ولئن كانت كلية سُرْبون القديمة رفضتهم حسداً فالحديثة تلقتهم بكل الاعتبار والتكريم واتخذتهم من اشهر وافضل اساتذتها . اما قولكم بان مشاهير علماء ديوانكم لم يتخرّجوا عليهم ولم يأخذوا عنهم شيئاً فتسلّم به اذا كان المراد بهؤلاء العلماء الشيوخ الذين سبقوا عهد اليسوعيين في فرنسا . واذا كانت مدارسكم تعلّم احسن من مدارسهم فلمَ افتقرت ولم تقم لها قائمة بعد مغادرة اليسوعيين لها ؟ أو لم يلجأ الامر اخيراً الى طلبهم وإرجاعهم في دواي (Douai) وبتاموسون (Pont-à-Mousson) وخارج المملكة رغماً عن الاوامر المشدّدة التي اصدرتموها بطردهم والناء رهبانيتهم ؟ . اما قولكم باتهم يتقنون من الاحداث امضاء ذكاء وافضلهم عقلاً فقولكم هذا هو شهادة لهم لا عليهم . أفلسنا نحن نختار افضل الشبّان واشجعهم لنعدّهم جنوداً يحمون ذمار المملكة والوطن وندفعهم لساحات الحرب . اما قولكم انهم يتداخلون في تدبير امورهم كما يتعاطون فذلك لا يحطّ بشأنهم بل هي حكمة لا تنكرها عليهم وانا ذاتي تشتُ العرش كما استطعت . إنما ما يذهلني جمّ على الخصوص هو صبرهم وجلَدهم واحتمالهم الذي يؤدي جمّ الى تحقيق ما يرغبون

« اما قولكم باتهم مدقّقون بحفظ قوانينهم فهذا مما يؤيدهم ويثبتهم وفي الوقت عينه يزيدهم حظوة بعيني واعتباراً في قلبي وعليه لا اشاء ان ابدّل او اغيّر شيئاً من قوانينهم بل اريد المحافظة عليها . واذا وجد من الاكليروس من ينظر اليهم شزراً فلا عجب فالجهّال كانوا او يكونون دائماً اعداء العلماء وعندما قصدت إرجاع اليسوعيين الى فرنسا لم يرُق ذلك بعين ذوي الاصلاح الموهوم واصحاب السيرة المتراخية من طبقة الاكليروس وهذا لعَمر الحق ما ضاعف اعتبار هؤلاء الاباء الافاضل بقلبي » آه

ولم نكن نعجب نحن فيما إذا صادف اليسوعيون في كل عصر اعداء الدّاء يحاولون الحطّ

ابنائها كما يؤيد ذلك تاريخ الثورة الفرنسية وساغويار في خطابه المشهور سنة ١٧٧٠ وجمال الدين الافغاني احد فلاسفة الشرق المشهورين في ردّه على مذاهب الفلسفة المنوه بها . ومما قال هو : ان البعض من هولاء الفلاسفة قد أسسوا مذاهبهم على بطلان الاديان كافة وقد درجوا الاديان بين عداد الاوهام الباطلة ... وغرسوا بذور الاباحة والاشتراكية ففسدت الاداب وقامت الثورات وعدمت السلطة نفوذها وتضعضعت اركان الهيئة الاجتماعية . لانّ الدين هو سلك النظام الاجتماعي وبدونه لا اساس للآداب والتمدن » . ومما لا مريةَ فيه ان الفلسفة المستحدثة اضحت في ذلك الوقت مرسحاً للضلال : اضاليل علميّة وتوامها تشويش الافكار والقاء الريب في الحقائق الاساسيّة . واضاليل عمليّة وغايتها ثلّ العروش وهدم المعابد وقلب كل نظام وبكلمة واحدة إقامة مملكة الشرّ على انقاض مملكة الخير . فمن اضاليل الاولى نشأ مذهب العقليين (le Rationalisme) اي ناكري الوحي في فرنسة والمانية ثم المذهب الوضعي (le Positivisme) ثم مذهب الاباحية (le Libéralisme) الذي اتى به بعض علماء الكاثوليك . ثم مذهب الاشتراكية (le Socialisme)

١ً : مذهب نكران الوحي الالماني . ان هذا المذهب المادي ينكر بتاتاً وجود النفس والارواح غير المنظورة . وماتويل كنت (١ احد المتصرين لهذا المذهب لم يقف عند حدّ نكران وجود النفس والعالم غير المنظور بل ينفي تحقيق وجود العالم المادّي ايضاً وهو يزعم ان الدين لا حقيقة له بل هو امرٌ وهميٌ لا يمكن اثباتهُ الى غير ذلك من الامور التي تدعو طبعاً الى الريب وقد أيد مذهب كنت فيكتْ (٢ الذي جاهر ان كل ما هو خارجٌ عن الفاعل المفكّر (le moi) هو وهميٌ لا حقيقة له . واما شالينغ (٣ فقد انكر الفاعل المفكّر وما ينسب الى الموضوع (٤ . واما

من كرامتهم بما يختلقون عليهم من الذول الفراء والتهمات الباطلة لان الجهّال قد كانوا دائماً اخصام العلماء والاشرار اعداء الابرار . وبغض الجهّال والاشرار والكفرة والارانقة لابناء يسوع هو افضل شهادة على فضلهم وصلاحهم وبيّنة جلّى على عظم منزلتهم وما لهم من الشأن الخطير في عالم الدين والعلم

١) (Emmanuel Kant) ولد سنة ١٧٢٤ توفي ١٨٠٤

٢) (J. Fichte) فيلسوف المانيا اخذ عن كنت وضع مناهجهُ ولد ١٧٦٢ توفي ١٨١٤

٣) (Schelling) فيلسوف المانيا ولد ١٧٧٠ توفي ١٨٥٤ ٤) ونعني بالفاعل المفكر Subjectif والموضوع Objectif

الفيلسوف الالماني هيغل (Hegel) ١٧٧٠ – ١٨٣١ فليس احدٌ يجهل امره وامر تآليفه العلمية بخصوص صور نطق الحياة فهذا الفيلسوف اتى في مذهبه بامور متناقضة وهو يعتقد بوحدة الذات بين الله والمخلوقات وعدم الفرق بين الخير والشر وبين السلب والايجاب (النعم واللا) الى غير ذلك مما سيأتي الكلام عنهُ في حينه

أ : مذهب (l'Hermésianisme) نسبة إلى الكاهن الالماني هرمس (١ قد شاء هذا الفيلسوف تهذيب المعارف البشرية واصلاح الدين المسيحي على اسلوب جديد بالاستناد الى مدارك العقل البشري فقط وكان يزعم انه بهذه الطريقة الجديدة يخدم الدين الكاثوليكي افضل خدمة ويوفق في الوقت عينه بين العقل والايمان ويزيل كل خلاف بين الفلاسفة لكنه هدم اساس العقائد الموحاة والتقليد العام الذي مشت عليه الكنيسة منذ نشأتها وقد كان لمذهب الكاهن المذكور تأثير عظيم في المانية فاتخذتهُ الكليات حتى المدارس الاكليريكية دستوراً للتعليم . ولما رأى البابا غريغوريوس السادس عشر ما اتى بهِ من الاضاليل حرَّم تآليفه بمنشوره الصادر في سنة ١٨٣٥ تحت عنوان Ad augendas وجدَّد هذا التحريم بيوس التاسع ١٨٤٧

ب : وقد نشأ في المانيا عن مذهب نكران الوحي مذهبٌ اخر لم يكن اقلّ ضلالاً وخطورةً مما تقدَّمهُ لان البعض من اولئك الفلاسفة لم ينكروا اليقين الفلسفي فقط بل تخطوا الى نكران اليقين التاريخي ايضاً . وزعيم هولاء كان الدكتور ستروس (٢ الذي انكر حقيقة الاناجيل التاريخية فاصدر سنة ١٨٣٥ تأليفه المشهور الذي دعاه «حياة المسيح» زعم فيه بأن الاناجيل انما هي عبارة عن تصوُّرات شعرية وقصص خيالية لا يتمثل بها شبه الحق وان من يدعونه المسيح انما هو خيال استعاره كتبة الاناجيل من الخرافات الوثنية وقصص اديانهم . وقد حذا رينان (٣ الفرنساوي

(١ Hermes . وُلد في مونستر ١٧٧١ توفي سنة ١٨٣١ (٢ David Strauss احد زنادقة الالمان . مؤلف «الدروس في اصل الديانة المسيحية» وصاحب «حياة المسيح» ولد في ورتمبرج ١٨١٨ وتوفي ١٨٧٤ (٣ E. Renan ولد في تريكوبيار في ٢٧ شباط ١٨٢٣ ودخل مدرسة سان سولبيس الأكليريكية حيث درس الفلسفة واللغات القديمة وكان شديد الميل لمطالعة فلسفة الالمان وتآليفهم الجدلية مما ضعف به روح الايمان واخيراً ترك الثوب الاكليريكي وبعد ان تقلَّب مدَّة بين الشكّ واليقين نبذ دينهُ واعلن بكفره . وقد فنَّد علماء الكاثوليك آراءهُ الزاهقة . توفي سنة ١٨٩٢

حذو ستروس ونهج منهاجهُ في تأليفه «حياة المسيح» التي حرَّم قراءتها مجمع فحص الكتب سنة ١٨٦٤

٢ : مذهب تاكري الوحي من الفرنسيس. ان طريقة فلاسفة الالمان لم تكن لتروق بأعين فلاسفة الشعب الفرنسيسي الملحدين بل رأى احدهم كوزين (١ ان يلطِّف المذهب الالماني بخصوص الوحي فأتى بمذهب آخر هو اشبه شيء بمذهب الحلول فانكر اولًا الوحي بالمعنى الكاثوليكي واقام العقل حكماً فاصلًا بامور الدين تاركًا سلطة الكنيسة والاسرار والعجائب والانبياء خصوصاً سرّ التثليث والتجسُّد والفداء والنعمة وقد اطلق على مذهبه اسم مذهب الاختيار (٢ . وكان من انصار هذا المذهب جرفروا (Th. Jouffroy) (١٧٩٦—١٨٥٢) وداميرون (Damiron) (١٧٩٤—١٨٦٢) وقد حرَّم مجمع فحص الكتب قراءة تآليف كوزين العنون تاريخ الفلسفة (١٨٤٥) والمجمع الفاتيكاني رذل جميع الاضاليل التي اتى بها المذكور في تعاليمه (١٨٧٠)

١ : (le Positivisme) ان أول من انتصر لمذهب هولباك الالماني وهلفاسيوس الماديين كان كاباتيس (P. J. Cabanis) (١٧٥٧—١٨٠٨) وبروسه (Broussais) (١٧٧٢—١٨٣٨) ودوترامي (deTracy) (١٧٥٤—١٨٣٦) زعم هؤلاء ان تصوّرات الانسان انما هي نتيجة تأثرات دماغية. وان الخير والشر هما كلمات فارغة لا حقيقة لها. وبالجملة قد نسب هولاء كل معارفنا وتصوّراتنا الى المادَّة ومن هذا التعليم نشأ مذهب البوزتيفم. وحقيقة هذا المذهب هو عدم التسليم بشيء الّا ما يثبته الاختبار الحسّي والعلمي. وأولُ من أيّد هذا المذهب كونت (Auguste Conte) (١٧٩٨—١٨٥٧) ونشرهُ باسم العقل والعلم ليتره (Emile Littré) (١٨٠١—١٨٨١) وتان (Hippolyte Taine) ١٨٢٨—١٨٩٣) وسانت بوف (Sainte-Beuve) (١٨٠٤—١٨٦٩)

ان هذا المذهب لا ينكر الامور الفائقة الطبيعة فقط بل النفس والعالم العقلي والادبي وقد اطلق عليه ارباب المدارس اللادينيَّة اسمَ التقدّم العقلي والنجاح العلمي

١) (Victor Cousin) ولد في باريس سنة ١٧٩٢ تقلَّب في غدة مناصب علميَّة ومدنيَّة وقد كان خطيباً وفيلسوفاً وكاتباً فصيحاً توفي في كان في ١٣ كانون ثاني سنة ١٨٦٧

٢) (l'Eclectisme) اي اختيار ما يراهُ حسناً في جميع التعاليم

وقد رشق المجمع الفاتيكاني تعاليم هـذا المذهب بالحرم الشديد وبراءة اليلّابوس «le Syllabus» المشهورة

ب : le Libéralisme مذهب الإباحية : نشأ هذا المذهب بين البعض من ابناء الكنيسة الكاثوليكية ولم تكن غاية اصحابه مناهضة الدين ومقاومة تعاليمه بل التوفيق بين العقل والايمان وبين الكنيسة والمذاهب المستحدثة . قد حرّم تعاليم هذا المذهب غريغوريوس السادس عشر ببراءته التي اوّلها «Mirari» سنة ١٨٣٢ وبيوس التاسع في منشوريه «Quanta cura» و «Syllabus» سنة ١٨٦٤

اول من جاهر بالمذهب المشار اليه كان لامنيه (١ الذي جعل العقل العام (ويريد به الرأي العام) مصداقاً على اليقين لينفي عن العقل الفرديّ المعرفة الاكيدة المتعلقة بعلم الكلي والاداب وقد وهم المذكور انهُ سيتيسّر له إيقاف اضاليل عصره عند حدّها بما اختلقهُ من المبادئ فتعدّى في ذلك حدود الصواب ولكنّه لم يقف عند هذا الحدّ من مبادئه المغايرة بل شاء ان يجمع بين الحقيقة والضلال باطلاقه العنان للحرية البشريّة وقد انشأ تأييداً لمبادئه جريدته المشهورة التي دعاها «المستقبل» l'Avenir سنة ١٨٣٠ وقد حرّم كثير من اساقفة فرنسا مطالعة الجريدة المذكورة كما ان رومية رشقت بسهم الحرم الشديد تعاليم الاب المذكور ومن ثمّ انفصل عنه صديقاه لاكوردير (٢ ومونتالمبر (٣ ولم يكن لامنيه ليقلع عن ضلاله بل ازداد قحةً ونشر تأليفه المشهور الذي حرمته الكنيسة «Les paroles d'un croyant» ١٨٣٤ . وقد حذا حذوَ لامنيه الاب بوتن (Bottain) استاذ كلية ستراسبورج فحرمت الكنيسة تعاليمه لكنّه ما عتّم ان رجع عن ضلاله وقدّم للكنيسة خضوعهُ

ثانياً : اضاليل عمليّة . ان الاعمال تتبع عادةً الاعتقاد فمن ضلّ اعتقادهُ ساء عملهُ

١) (Lamennais) ولد في برتانيا من اعمال فرنسا سنة ١٧٨٢ وتوفي في باريس ١٨٥٤ وقد كان المذكور كاتباً بليغاً سريع الخاطر متوقد الذهن لكنّهُ شديد التمسك برأيه

٢) (Lacordaire) وُلد في ١٢ ايار سنة ١٨٠٢ . كان اولاً محامياً دعاوى ثم ترك مهنتهُ ودخل المدرسة الاكليريكية بعد ٢٢ سنة . تعرّف بلامنيه واخذ عنه ثم شاركه في تحرير جريدته لكنه افترق عنهُ عندما انفصل عن الكنيسة . وفي سنة ١٨٤٠ دخل لاكوردير بسلك رهبان القديس عبد الاحد وسنة ١٨٦١ نقله الله الى دار كرامته .

٣) كان (Montalembert) (١٨١٠–١٨٧٠) خطيباً مفوّهاً وكاتباً بليغاً

وهذا ما حدث لبعض ابناء الجيل الثامن عشر والتاسع عشر فكان من نتائج فلسفتهم الكفريّة المروق من الدين وتأليف الجمعيّات ضدّ كل سلطة وانتشار روح الثورة في البلاد وحدوث المشاجرات بين الكاثوليك انفسهم خصوصاً في فرنسا كتأسيس بعض الجمعيّات تحت اسم كتائس نذكر منها الجمعية التي أسسها احد الكهنة الاب شاتل (Châtel) فهذا الكاهن انكر العصمة وبعض الاسرار وجعل مرجع الكنيسة الى الحكومة المدنيّة ولكنّ المنكود الحظ لم يتخلّص من جدران الحبس سنة ١٨٤٢ اقتصاصاً منه على جرائم قضت عليه بسوء العاقبة . ومن اسوأ هذه العصابات جمعيّات ابناء الارملة والجمعيّات الاشتراكية والمدارس اللادينية

ومن نتائج الفلسفة الكفريّة ايضاً مناهضة الاديان واطفاء كل شاعرة دينية في القلوب وعلى الخصوص مقاومة كل سلطة شرعية وقد عزمنا على ان نثبت ذلك بالادلة الراهنة والحجج الصادعة . . .

معرض بيروت

نظر اجمالي تاريخي اقتصادي اجتماعي

للاب لويس شيخو اليسوعيّ .

قد حان لنا بعد كلامنا العمومي عن الاسواق القديمة شرقاً وغرباً وعن المعارض الوطنيّة والدوليّة ان نلقي نظرًا الى معرضنا البيروتي الذي انتهى آخرًا زمنهُ الرسميّ فنروي شيئاً من تاريخهِ واسواقهِ ومميّزاتهِ وفوائدهِ لتزدان بهِ صفحات مجلّتنا . وكان بودّنا لو خُصّص لهذا المعرض كتاب مستقلّ يشتمل على تفاصيل اخبارهِ ومحاسنهِ المادّيّة والادبيّة فيُستند اليهِ لتاريخ بيروت حاضرة لبنان الكبير فيكون كنُزَّةٍ في جبينها وكتاج على مفرق هامتها . وليس الامر عويصاً بعد ما ورد في الجرائد الوطنيّة ولاسيّما في جريدتنا البشير المنير من الاوصاف المتفرّقة في اعدادهِ المتوالية منذ شهر نيسان الى اليوم . وها نحن نسعى بسدّ هذه الثلمة بكتابة فصل اجمالي يبقى كتذكار لهذه المأثرة الوطنيّة

وهذا ما حدث لبعض ابناء الجيل الثامن عشر والتاسع عشر فكان من نتائج فلسفتهم الكفريّة المروق من الدين وتأليف الجمعيّات ضدّ كل سلطة وانتشار روح الثورة في البلاد وحدوث المشاجرات بين الكاثوليك انفسهم خصوصاً في فرنسا كتأسيس بعض الجمعيّات تحت اسم كتائس نذكر منها الجمعية التي أسسها احد الكهنة الاب شاتل (Châtel) فهذا الكاهن انكر العصمة وبعض الاسرار وجعل مرجع الكنيسة الى الحكومة المدنيّة ولكنّ المنكود الحظ لم يتخلّص من جدران الحبس سنة ١٨٤٢ اقتصاصاً منه على جرائم قضت عليه بسوء العاقبة . ومن اسوأ هذه العصابات جمعيّات ابناء الارملة والجمعيّات الاشتراكية والمدارس اللادينية

ومن نتائج الفلسفة الكفريّة ايضاً مناهضة الاديان واطفاء كل شاعرة دينية في القلوب وعلى الخصوص مقاومة كل سلطة شرعية وقد عزمنا على ان نثبت ذلك بالادلة الراهنة والحجج الصادعة . . .

معرض بيروت

نظر اجمالي تاريخي اقتصادي اجتماعي

للاب لويس شيخو اليسوعيّ .

قد حان لنا بعد كلامنا العمومي عن الاسواق القديمة شرقاً وغرباً وعن المعارض الوطنيّة والدوليّة ان نلقي نظرًا الى معرضنا البيروتي الذي انتهى آخرًا زمنهُ الرسميّ فنروي شيئاً من تاريخهِ واسواقهِ ومميّزاتهِ وفوائدهِ لتزدان بهِ صفحات مجلّتنا . وكان بودّنا لو خُصّص لهذا المعرض كتاب مستقلّ يشتمل على تفاصيل اخبارهِ ومحاسنهِ المادّيّة والادبيّة فيُستند اليهِ لتاريخ بيروت حاضرة لبنان الكبير فيكون كنُزَّةٍ في جبينها وكتاج على مفرق هامتها . وليس الامر عويصاً بعد ما ورد في الجرائد الوطنيّة ولاسيّما في جريدتنا البشير المنير من الاوصاف المتفرّقة في اعدادهِ المتوالية منذ شهر نيسان الى اليوم . وها نحن نسعى بسدّ هذه الثلمة بكتابة فصل اجمالي يبقى كتذكار لهذه المأثرة الوطنيّة

١ لمحة تاريخية عن معرض بيروت

ما كادت تستقرّ قدم فخامة الجنرال غورو في مدينة بيروت حتّى اخذ يفكر في نجاحها وترقيتها وتوسيع نطاق تجارتها وصناعتها لتنهض من كبوتها بعد ما اصابها من الانحطاط بسوء تدبير الدولة التركيّة ولاسيّما في ايّام الحرب الكونيّة. فكان اوّل ما خطر على ذهنه الوقّاد انشاء سوق عموميّة يُدعى اليها اهل سوريّة ولبنان مع بعض الممثلين للمحلّات التجاريّة الافرنسيّة في باريس وليون ومرسيليا وغيرها فيكون اجتماعهم في بيروت واسطةً للتعارُف بينهم وسبباً لتوثيق عرى المواصلات فيطّلع الغربيّون على مصنوعات الشرق ويقدّرونها قدرها كما يستفيد اهل الشرق من الاختراعات الاوربيّة العديدة

لكنّ مشروعاً كهذا مع ما كان عليه اذ ذاك الوطن من القلق وغلاء الحاجيّات لم يكن بالامر السهل ان لم نقل ضرباً من المحال الّا انّ المثل يقول: «انّ كلمة المستحيل ليست بلفظة افرنسيّة» ومن ثمّ لم يعبأ فخامتهُ بتلك العوائق مهما عظمت فخابر رئيس الجمهوريّة الفرنسويّة المسيو ميلران واجتمع في فرنسة بارباب الفنون والصنائع وشكّل اللجن وانتدب لادارة انشاء المعرض وابنيته واعماله بعض الاختصاصيّين ولم يزل يتتبع كلّ اقسامه حتّى اخرجهُ بهيئته القعساء من بطون الارض بابنيته ومخازنه ومطاعمه وضروب معروضاته الى حيّز الوجود. ثمّ ألفت اليه انظار دولته الكريمة التي ارسلت وفداً خاصّاً لحضور تدشينه يرأسهُ المسيو فرنان دافيد. فوقع افتتاحهُ مساء يوم السبت ٣٠ نيسان بحفلة توفّرت فيها كلّ اسباب الرونقة وحضرها علية القوم من فرنسويّين في مقدّمتهم الجنرال غورو والاميرال مورنه والمسيو روبر دوكه والجنرال غرنيه دوبلي والمسيو سوليه نائب باريس ووطنيّين يتقدّمهم حاكم لبنان مع قناصل الدول والاعيان فتفقّدوا ابنية المعرض في اقسامه الثلثة في شارع اللنبي وحديقة الاتحاد وفي الربوة المشرفة على البحر وراء السراي القديم واستعرضوا بضائع التجار وسُرّوا خصوصاً بنظر المصنوعات الوطنيّة وقضوا بقيّة النهار في حضور مشاهد بهجة ووليمة فاخرة وألعاب ناريّة مختلفة فاه في اثنائها الخطباء البلغاء واثنوا على كلّ من عُنوا باقامة السوق البيروتيّة

هذا ونضرب الصفح عمّا جرى بعد ذلك في الايّام التالية من الحفلات البهجة ومجالس الانس الشائقة منها سباق السيارات ومعركة الزهور اللطيفة لنحوّل النظر الى ذات المعرض

٢ مشتملات المعرض

يطول بنا تعداد كلّ ما عُرض في سوق بيروت من المصنوعات الشرقيّة والغربيّة فها نحن نذكر منها ما امكننا مشاهدتهُ نوردها مقسّمةً الى بعض اقسام عموميّة

١ الفنون الجميلة

لها حقّ التقدُّم اذ تدلُّ اكثر من سواها على آداب الشعوب وترقّيها

واوّل ذلك (فنّ الهندسة) الذي ظهر في هذا المعرض بكلّ جلائهِ . وليس كلامنا على الحوانيت والمخازن التي قُسمت اربعة اسواق في شارع اللنبي فانّها وان لم تخلُ من الاتقان والتفنُّن لكنّها أُقيمت على طرز بسيط اقتصاداً لتكفي لعدد العارضين العديد . وانّما نُريد تلك البنايات الفخيمة التي تشيّدت بسرعة غريبة وبكل ذوق . منها مداخل اقسام المعرض الفخيمة سواء كانت في شارع اللنبي ام في المنشيّة فانّ هندستها على جانب عظيم من الأبّهة والجمال وقد أُفرغ الجهد في زخرفة ابوابها تلوح عليها مسحة من بهاء الابنية الشرقيّة القديمة

ويلوح ذلك خصوصاً في المعاهد التي شُيّدت في حديقة الاستقلال لمدن سوريّة المختلفة . فهناك ستّة ابنية تأخذ هندستها بالبصر لحسن تنسيقها ولطف تنظيمها وترى لها الغرف المختلفة والمقاصير والنوافذ تعلوها السطوح والشرفات ببينات شتّى تروق النظر وينشرح لها الصدر . وقد وضع رسومها ذوو الخبرة بالذوق الشرقيّ متفنّنين في وضعها ما امكن ليجد فيها الوطنيّون امثلة لمبانيهم

ولا نتعرّض لذكر المطعم القائم كصرح عظيم على التلّ المشرف على المرفأ الكاشف على البحر وسواحلهِ وعلى لبنان ومناظره الفتّانة وهو مثال حسن للهندسة الاوربيّة لا ينقصهُ شيء من اسباب الهناء

وانّما نأخذ على معظم هذه المباني قلّة متانتها وهي من الخشب المطليّ بالجبصين

فلا تصلح الّا لزمن المعرض ثمّ تخرب وتزول بهجتها

و (لفنّ التصوير) في المعرض حصّة وافية فرأينا لمدّة مصوّرين وطنيين اعمالًا تدلّ على حذقهم في هذا الفنّ الذي بقي دفيناً مدّة اجيال طويلة في سوريّة فاحياه بعض اهل بلادنا البارعين كالفضلاء داود القرم وحبيب سرور وكرم صليبي والفرد بك سرسق وحمصي . فهناك لهم عدّة تصاوير منها صور اشخاص احياء او مائتين بملابسهم الشرقيّة ومنها صور ازياء اهل البادية ومنها صور حيوانات او زهور او ابنية وعدّة رسوم على درجات مختلفة من الجمال بين حسن ووسط ودون . وقد استحسن الزوّار صورة يوحنّا المعمدان في شبابه لداود افندي القرم

وكذا (فنّ النحت) فمنهُ أمثلة متقنة الصنع فعند مدخل بناية لبنان تمثالان من رخام رُمز بهما الى وقود الجبل سابقاً والى نهضته المستقبلة بشخص امرأتين نائمة فستيقظة من نومها وكلتاهما من رخام ابيض نحتهما يوسف سعدالله الحويك وما كان ضرّهُ لو كان ستر عريهما بثوب ما ! . وقد امتاز ايضاً بالنحت الخواجا خوكاز

وقد عُرض في داخل البناية صليب عليه شخص السيّد المسيح مصلوباً على كبره الطبيعيّ وهو منحوت في خشبة واحدة من السنديان الّا ذراعيه . وهيئة المصلوب جليلة وسيمة في اوجاعه قد اجاد عملهُ الياس افندي متّى

وهناك عدّة تماثيل صغيرة من الطين الاحمر لجان افندي دبس خطر لهُ ان يمثّل بها على منوال مؤثر احوال لبنان المفجعة في ايّام الحرب فترى مصائب اهله في كلّ هيئاتها من عري ومرض ومجاعة وموت واكدار يصعب على القلم رسمها وانّما اخرجها المصوّر بدقّة تثير عواطف الحزن والحنان في قلوب ناظريها

ومّما يلحق بهذا الباب ثمانية قطع من الفسيفساء القديمة العهد عرضها في قسم دمشق صاحباها سليم افندي سمرا وعزيز افندي سرجي . وهي اشغال بيّنة ليست سابقة للتاريخ النصرانيّ كما كتب هناك لكنّها مع ذلك جديرة بالذكر لحسن رصفها وتركيبها بالفسيفساء الناصعة الالوان . فاثنتان تمثّلان الالهتين هيرا المدعوة ايضاً جونون وپروزرپين إلهة الجحيم . وبعضها يمثّل إلهة الشعر ايراتو وعجلة سباقٍ في الميدان وصورة الشتاء على هيئة شيخ متلفّع بردائهِ وصورة جبل اولمپوس فقرأها بالغلط صاحب الكتابة المعلّقة عليها اولمپاس وظنّ انّها والدة الاسكندر ثمّ صورة ثلثة

شخاص من اليونان كتب احد المازحين فوقها بقلم حديث اسم الشيطان مفيستوفيلس

٢ الصنائع

للصنائع في معرض بيروت الحظّ الاوفى لاسيّما مصنوعات دمشق من محلّات جورج وجبرائيل نعمان وجرجي بيطار واصفر وسركيس وابرهيم قرواني ومصنوعات بيروت من معامل ومحلات سيوفي وترزي والياس متى وامين وهبه وجبران زياده وننقولا عجوري واسكندر عكّاوي ومن دار الصنائع والفنون الاسلاميّة

واخصّ المصنوعات الدمشقيّة الآنية النحاسيّة المنقورة المنقوشة المزيّنة بالاشكال الهندسيّة والكتابات العربيّة والعبرانيّة بينها الاطباق والصوانيّ والبواطيّ والقناديل والأثريّات والسارج والمناقل والمواقد واللكُنّ والاباريق والقماقم على اختلاف اجناسها واحجامها وهيئاتها ممّا اندهش لحسنها الزوّار وخصوصاً الاوربيّون وبادروا الى اشترائها

ومنها المصنوعات الخشبيّة الرائعة من طاولات وخزانات ومكاتب واسكمنات ومقاعد وقباقب وعُلَب كلّها مطعّمة باجناس الاخشاب الملوّنة او بقطع من الفضّة او الاحجار الملوّنة على شكل الموزائيك فتروق للعين بتنسيقها ولطف تقاطيعها واسواقها البديعة ورسومها الهندسيّة

ومنها ايضاً الصفائح الصينيّة الزرقاء ذات الزهور والآنية المحلّاة بالميناء والأسلحة القديمة المجوهرة كالسيوف والقامات والخناجر مع نقوشها الذهبيّة المرصّعة بالمينا والكتابات المنزلة فيها (اطلب وصفها في المشرق للاديب يوسف غنام ثابت ٣ [١٩٠٠] : ٥٧٧ و ٧٠٠) (و ٤ [١٩٠١] : ٧٨٤)

امّا المصنوعات البيروتيّة فانّها اقرب الى الصناعة الغربيّة كادت تفوق عليها ببعض خواصّها. فانّ اثاث البيوت وما يدعونهُ بالموبيليا يشبه اتمّ الشبه اصنافهُ المجلوبة من اوربّة مع ما تمتاز به من التقليدات الشرقيّة. فهناك المتضدات اللطيفة وطاولات الشغل او اللعب والأُطُر (البراويز) والحواجز البيتيّة بينها صفائح جداريّة بحجارة ملوّنة شغل اسعد فرج وغير ذلك من المصنوعات الرائعة

ولبيروت السَّبق في شغل المنسوجات والاقمشة واشغال الابرة والتطريز والزركشة بالالوان وبالذهب . وقد شاعت خصوصاً في بلادنا بفضل راهبات المحبَّة والراهبات اليوسفيَّات وراهبات العائلة المقدَّسة وراهبات قلبي يسوع ومريم فقد عُرض البعض من اعمالهنَّ الجميلة . والبعض الآخر لبنات دار الصناعة الاسلاميَّة ولبعض الاوانس الوطنيَّات كاملاً جورج صفير وروز بحَّاح ومدام سليم جلخ وغيرهن من الفاضلات أعربن عن براعتهنَّ في النقش والرقش والتخريج من خروجات ووجوه طاولات وازياء اخرى جميلة . وتضيف الى المنسوجات الوطنيَّة اشغال الديما في بكفيا وبيت شباب

وقد عَرض حابيُّون كثيراً من الثياب الشرقيَّة القديمة المزركشة بالذهب والمحلَّاة بالقصب الصالحة لامراء العَرَب . وتعارضها مصنوعات الزوق التي وصفها سابقاً في المشرق (٤ [١٩٠١] : ٤٤١) حضرة الخوري جبرائيل كيرلُس كما وصف مقصَّبات حلب الفريدة (٤ : ٧٥١) المرحوم يوسف مشحور

ومن مصنوعات حلب المرسلة الى المعرض السجَّادات والطناقس بالوانها المُشرقة ونقوشها البديعة . وقد عرض مثلها ايضاً محلّ بشاره اصفر وسركيس من دمشق

ومن مصنوعات القدس تُحفهم التقويَّة اللطيفة منها خشب ومنها صدف او عاج لهم فيها السبق منذ الزمن القديم التي بها للمعرض بعض اهل بيت لحم ومن جملتها تمثيل العشاء السرّي وصورة السيِّد المسيح ورسله كلُّها من الصدف على احسن طرز

ومما عُرض ايضاً من المصنوعات الوطنيَّة اشكال الصابون امتاز بينها صابون جرجي افندي ابي سعد . وعُرض ايضاً قرميد جان افندي دبس الذي مرَّ ذكر تمثيله بالآجر .

اما المصنوعات التي عرضها الفرنسويُّون وغيرهم من الفرنج فانَّها راقت في اعين الوطنيين كما راقت في اعين الفرنسويين مصنوعات الشرق وبذلك تمَّت الفائدة بامتزاج الشرق والغرب . وقد بلغ عدد مَن عرض من الاوربيين نحو الالف حضر من محلَّاتهم من يمثّلهم او اتخذوا لهم وكلاء . فمما يستحقّ الذكر حلى ومجوهرات ومصاغات محلّ تيادي وماسون وشركائهم ومنها كلّ لوازم الطباعة واصناف الورق ومعدَّات التجليد من محلَّات دابرني وبريو وغوت وبلانكان في باريس ومنها اطياب وعطريَّات محلّ ڤيتيون في ليون ومنسوجات مختلفة وازياء من عدَّة محلَّات . مع جلود واجواخ

واصباغ وموادّ بنائيّة. امّا الادوات الحديديّة والمحرّكات والمضخّات والمطافي والادوات الكهربائيّة فانّ الفرنسويين وغيرهم من الاوربيين عرضوا منها ما لم يكد يخطر على بال الوطنيين فاخذ منهم العجب بنظرها كلّ مأخذ كساعات سويسرة واوتومبيلات اميركة ومواقد ايطالية للغاز واجواخ بلجيكة

وقد كان للمعروضات المدرسيّة قسمٌ صغير استحسنّا بعض الطافه. الّا انّنا وجدنا ما عرضتهُ المدرسة العلمانيّة من اشغال تلامذتها مبتذلًا لا يشرّفها كثيرًا

٣ الزراعة والاعاشة

انّ سوريّة ارض زراعة تصلح تربتها في مناطقها المختلفة لضروب الغلّات والمزدرعات فسُررنا بما اجتمع في المعرض من لوازم الزراعة والفلاحة. وقد نالت طرابلس في ذلك قصب السبق فانّ بنايتها احتوت على ضروب مساطر الحبوب والبزور والغلّات المختلفة في سائر اصنافها مع ما يستخرج منها من الزيوت والاسمان والمشروبات والمربّيات المختلفة. وقد عرض اهل بيروت كثيرًا من هذه الحلويات لبعض البارعين في عملها من المسلمين كالافنديّة بكري رمضان والبحصلي والعريسي. كما عُرضت مشروبات محلّيّ مانولي ونركم

وكان في المعرض المقتنيات والمشروبات الاوربيّة مقام رفيع منها واردات المستعمرات الفرنسويّة وغيرها كالارز والبنّ والسكّر والكاكاو ومنها مصنوعات فرنسة الشهيرة من باقساط ومعجونات وملبّسات وحلويات. ومنها خمورها الدائمة الصيت كالكونياك وبوردو وشمپانية. هذا فضلًا عن مياهها المعدنيّة الفاخرة وموادّها الطبيّة مع الادوية الانكليزيّة. وكان لكل هذه المعروضات من يمثّلها في المعرض ويشرح خواصّها وفضلها

وممّا يلحق بباب الزراعة التبغ اللبناني واصنافهُ المختلفة عُرضت منهُ نموذجات جيدة في بنايتي طرابلس ولبنان تخصّ بالذكر تبغ بكفيا للامراء بلمع ومحل فريحه (اطلب مقالة الاجزائي الاديب يوسف افندي جميل في التبغ وزراعته في لبنان في المشرق ١٤[١٩١١] : ٤٥ الخ). وكذلك زراعة التوت وتربية دود القزّ وبزورهُ خُصّت ببعض الالتفات في معرض بيروت

ومما له علاقه كبيرة بالزراعة الآلات الزراعيّة التي تؤدي اليوم للملّاكين وارباب الفلاحة خدماً مشكورة لا تُحصى . في كلّ اطوار الحراثة والزرع والحصد والكدس فجرى امتحان ما اتى به منها بعض التجار الفرنسويين بحضور جمهور كبير عرفوا فضلها عياناً . وكذلك عُرضت ضروب السمادات الاصطناعيّة الكيموية التي من شأنها ان تُحسّن التربة وتُخصبها

اما الإعاشة فكان لها معرض خاصّ في اقبية قاعة البورصة قريباً من السراي القديمة . فُرش صحنها بالسجّاد العجميّ والبسط الشرقيّة ممّا اصطنعهُ فتيان وفتيات ويتامى كانوا يشتغلون في وسط المعرض اشغالاً مختلفة من حياكة واحذية وبُسط وغزل الصوف . واذا دخل الزائر غرفةً من عن شماله او توغّل الى داخل المعرض سُرّ بما يراهُ من انواع الحبوب والمسلوسات الوطنيّة والاجنبيّة . ومن اكداس الاطعمة كاكياس الدقيق والقمح والارزّ والبنّ والسكر وغيرها من المآكل التي وزّعتها الحكومة ولجنة الاعاشة على البؤسين بعد دخول الفرنسويين الى بيروت فأنقذتهم من المجاعة والموت الباسطَين رواقهما عليهم . ويدلُّ على حالتهم التعساء ما ترى هناك من الصور الملوّنة بريشة بعض المُلحقين بادارة المعاشة فلا يتمالك الزائر ان يصرخ : لله درُّ فرنسة انّها حقيقة ملجأ البائسين واحنُّ الوالدات على الملهوفين أيّدها الله مدى الدوران

٤ الفنون الحربيّة

وكأنّ لجنة المعرض رأت من الواجب بعد الحرب الكونيّة الاخيرة وما بلغ آذان اهل بيروت من ويلاتها ان تعرض على السوريين شيئاً من ادواتها وذخائرها وتهاويلها برًّا وبحرًا فخصّت رواقاً وهو المشيد جنوبيّ حديقة الاستقلال لتلك الغاية فاذا دخلهُ الزائر عدَّ نفسهُ في مسلحة ودار صناعة حربيّة . ولمّا كانت الامور تلوح حقائقها بالمقابلة فقد عُرض هناك عدّة اشخاص من فرسان وجنود القرون الوسطى الى الاجيال المتأخرة فتراهم بشكّتهم الحربيّة متمنّعين ومدرّعين من الرأس الى القدم وفي ايديهم الاسلحة القديمة من تروس ورماح يمشون الى العدوّ فيصارعونهُ او يرمونهُ عن كثب امّا اليوم بعد الاكتشافات الحديثة فقد تغيّرت كلّ اداب الحرب فترى في المعرض المدافع والرشّاشات والتراليوز وضروب البنادق والموادّ الانفجاريّة كالرمّانات

والقنابل واصناف القذائف. هذه للحرب البرّية. اما الحرب البحريّة فقد عُرضت ألغامها العائمة وادوات الطربيد او النسّاف التي تنفذ في قلب البحر الى ان تبلغ الى سفينة العدوّ فتنفجر تحتها فتهلكها

ومن حسن ذوق مهندسي هذا القسم تنظيم الاسلحة كالحراب والسيوف والغدّارات حتى هيئة جميلة فترى بعضها كطاقة الزهور وغيرها على هيئة الآلات الموسيقيّة كالقيثارات وغيرها. وهناك ايضاً ادوات التلغراف والتلفون اللاسلكي اللذين لعبا في الحرب الاخيرة دوراً معتبراً

فهذا نظر اجمالي يمكّن القرّاء من الحكم على منافع معرض بيروت الذي زاره نحو خمسين الفاً من سوريين وغيرهم. ولعلّ كثيرين منهم لم يقدّروه قدره الذي هو جديرٌ به وعلى كلّ حال فانهُ كان اجلى برهان على رغبة فخامة المفوّض الاعلى وارباب الحكومة المنتدبة في السعي بشؤون الوطن وترقيته وتوفير الوسائط لتحسين اموره المادّية والاقتصاديّة وتوثيق الروابط بين الشرق والغرب لفائدتهما جميعاً. يشهد على ذلك كلّ منصف مثنياً اعطر الثناء على كلّ من قام بهذا المشروع الجليل واخرجهُ الى حيّز الوجود

نظرة الى بعض عجائب قعر المحيط

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

من اجمل واغرب الإيالات الجديدة التي امتدّت عليها فتوحات العلم العصري قعر البحار وكل ما انطوى عليه من آيات الحسن الرائعة التي بقيت آلافاً من السنين مدفونة في اعماق الاوقيانوس محجوبة عن انظار العلماء انفسهم. وقد توصّل البحّاثون في اواخر الجيل المنصرم وفي عصرنا هذا الى سَبْر تلك الاغوار الفسيحة المطمورة تحت غمار المحيط باستخدام الغوّاصات المجهزة بعدة آلات في غاية الدقة لمعاينة عجائب الحياة في قعر البحار. وقد تجاسر بعض المصورين المشغوفين بتلك المحاسن المستقرّة لقلوبهم فتوشّح بجهاز الغوّاصين وانحدر الى قرار المحيط على حبل مُرخى من

والقنابل واصناف القذائف. هذه للحرب البرّية. اما الحرب البحريّة فقد عُرضت ألغامها العائمة وادوات الطربيد او النسّاف التي تنفذ في قلب البحر الى ان تبلغ الى سفينة العدوّ فتنفجر تحتها فتهلكها

ومن حسن ذوق مهندسي هذا القسم تنظيم الاسلحة كالحراب والسيوف والغدّارات حتى هيئة جميلة فترى بعضها كطاقة الزهور وغيرها على هيئة الآلات الموسيقيّة كالقيثارات وغيرها. وهناك ايضاً ادوات التلغراف والتلفون اللاسلكي اللذين لعبا في الحرب الاخيرة دوراً معتبراً

فهذا نظر اجمالي يمكّن القرّاء من الحكم على منافع معرض بيروت الذي زاره نحو خمسين الفاً من سوريين وغيرهم. ولعلّ كثيرين منهم لم يقدّروه قدره الذي هو جديرٌ به وعلى كلّ حال فانهُ كان اجلى برهان على رغبة فخامة المفوّض الاعلى وارباب الحكومة المنتدبة في السعي بشؤون الوطن وترقيته وتوفير الوسائط لتحسين اموره المادّية والاقتصاديّة وتوثيق الروابط بين الشرق والغرب لفائدتهما جميعاً. يشهد على ذلك كلّ منصف مثنياً اعطر الثناء على كلّ من قام بهذا المشروع الجليل واخرجهُ الى حيّز الوجود

نظرة الى بعض عجائب قعر المحيط

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

من اجمل واغرب الإيالات الجديدة التي امتدّت عليها فتوحات العلم العصري قعر البحار وكل ما انطوى عليه من آيات الحسن الرائعة التي بقيت آلافاً من السنين مدفونة في اعماق الاوقيانوس محجوبة عن انظار العلماء انفسهم. وقد توصّل البحّاثون في اواخر الجيل المنصرم وفي عصرنا هذا الى سَبْر تلك الاغوار الفسيحة المطمورة تحت غمار المحيط باستخدام الغوّاصات المجهزة بعدة آلات في غاية الدقة لمعاينة عجائب الحياة في قعر البحار. وقد تجاسر بعض المصورين المشغوفين بتلك المحاسن المستقرّة لقلوبهم فتوشّح بجهاز الغوّاصين وانحدر الى قرار المحيط على حبل مُرخى من

ظهر سفينة ما بلغ به الى قعر اليم حيث رسّخهُ ووتّرهُ حجر ثقيلٌ . وعلى هـذا النمط كان يتوقف اخو الفن هنيهةً على طول الحبل كلما رأى ما يستلفت اليهِ ناظريه فيرسم الغرائب البادية امامه على ورق مخصوص لا تأثير للماء عليه رسماً سريعاً قليل التفاصيل والدقّة . وكان اذا خرج من المياه يُكمّل هذا الرسم الغليظ ويُحكمهُ بما وعـاه في خزانة ذاكرته بل في حدقتي مقلتيه من الاشكال والالوان الشائقة وآيات الحياة البحريّة الآخذة بمجامع القلوب

ولم تقف جسارة البحث العصري عند هذا الحدّ . مع انهُ لم يكن في الحسبان بل تخطّته متجهة الى التصوير الشمسيّ لاعماق البحار . وقد سبق الى ذلك المستر وليمسون الذي توفّق بعد الجهد الجهيد الى اختراع جهاز فوتغرافي بحري . وهاك على جناح السرعة كيفية استخدامه . انهُ يُجعَل هو والمصوّر في اسفل انبوب معدني واسع القُطر وقابل التمدّد مُناط بظهر مركب خاص . وكانت التجربة الاولى لهذه الطريقة الغريبة في ميناء تاسو الواقعة في جزائر انتيل (Antilles) الانكليزية والبحر هناك ذو صفاء وشفوف لا مُتجاوَز وراءهما . وقد وُسمت السفينة الاولى للتصوير الشمسي البحري باسم القنّاص الفرنسوي الشهير جول ڤرن تذكارًا لروايتهِ الخيالية المُعنونة بـ «عشرين الف فرسخ تحت البحـار» . ومن عجيب امرهِ وقدرة مخيّلتهِ انهُ وصف الغوّاصات اعواماً طويلة قبل اختراعها بل وصف عجائب قعر المحيط كأنهُ شاهدها مشاهدة العيـان

يحول ضيق المقـام دون افاضتنا في سرد آيات الحسن الرائع التي تمكّن العلم العصري من معاينتها بواسطة الوسائل المشار اليها آنفاً وما ضارعها . على اننا لا نريد ختم هذه العجالة قبل ازاحة طرف الحجاب عنها ليقف القرّاء ولو بعض الوقوف على شيء من البدائع المكتنة في جوف المحيط

كثيرًا ما تشاهد هناك العين المفتونة من الوهاد والهضاب المغطّاة بالغابات الغنّاء النضيرة ما يُمثّل امامها جبال الألب المشهورة في الخافقين بنانق محاسنها . واشجار تلك الغابات هي في الغالب نوعٌ من نبات الماء يُدعى الحُشّ المعروف في كثير من اللغات الاوربية باسم ألغا (alga في الانكليزية و algue في الفرنسوية) . اما سكّان تلك الاحراج الممتدّة الى مدى العين فحدّث عن كثرتهـا وتنوّعها ولا حرج .

منها الانواع الضئيلة التي تلوح لناظريك بشكل زُهيرات تَبَضّ فيها عرق الحياة . ومنها الطوائف الساطعة الضياء كانها مصابيح حيّة او حُلى مرصّعة بأبدع الحجارة الكريمة . ومنها فصائل الاسماك الغريبة التي لم تحلم المخيلة بوجودها على ارضنا هذه . واليك بعض الامثلة منها : السمكة المنعوتة في عرف البرازيليين بالقَمَرية (peixe-lua) المشوب سوادها بالحُمرة — والسمكة المعروفة عند الطبيعيين باسم كيتودُنت (chetodonte) وهي ذات منقار كالطيور واسنانها بدقة الابر تصيدُ بها الحشرات المائية الحاطّة على نباتات البحر . وهذه السمكة بديعة الالوان ولاسيما الزرقة والخضرة والصفرة فكأنها تشعّ اشعاعاً . ثمّ سمكة الوَزَنك (raie) الهائلة الكبر المتوشّحة ثوباً لماعاً من الذهب والقرمز (١

واذا طاف رائدٌ باعماق المحيط في ارجاء ذلك العالم الجديد شاهد من تنوُّع وتغيُّر مناظره الجذّابة ما يسحر مُقلتيه بل عقله . فهنا قمم الجبال العالية المكسوّة بما يحاكي غابات الصنوبر في لبنان . وهناك ثُغرةٌ عجيبة العمق والطول قائمة بين طودين شامخين . وفي جهة اخرى ترى مغاور بعيدة الغور فاغرةً فاها على منحدر علَم منيف . ثم ان الارض التي تطأها او تُشرف عليها تبهر ناظريك بضيائها كأنها لابسة رداء يققاً من الثلج وهي في الواقع متشحة بثوب غريب من الرمل الناعم العسجدي . وكثيراً ما ترى هناك غابات المرجان (٢ الورديّ اللون في نشأته والاحمر في عنفوان شبابه والابيض في دور شيخوخته كشعر الانسان الطاعن في السنّ والاسود بعد موته كثياب الحداد . واذا تعدّيت تلك الغابات فربما افضى بك السير الى مروج فسيحة وفرت فيها الحيوانات المعروفة بنجوم البحر (étoiles de mer) البديعة الهيئات والالوان . وما يزيد بهاء كل تلك المشاهد العجيبة ان الاشعّة والظلال تمتزج وتتلاعب على سطح تلك الجبال والوديان تلاعبها السحريّ المعهود في سفوح لبنان مثالاً . ولعمري لولا ان الشمس تنفذ بضيائها المحيي الفتّان الى اعماق البحار لتجرّدت هذه عن كل ظواهر الحياة ومحاسنها الرائعة . لكنّ هناك اغواراً شديدة العمق تنحدر اليها الغوّاصات فتراها محاطة بظلام دامس كأنّ ليلاً دائماً مدّ رواقه على ارجائها . عندئذٍ

١) راجع مقالة الدكتور كونيغ في هذه الاسماك العجيبة في المشرق (١٠ [١٩٠٧] : ٨٧ ؛ ٢٠٤)

٢) وهو من الكائنات الحيّة كما لا يخفى

يستخدم الرُّوَّاد أنور المصابيح الكهربائية فهي تبدِّد بلمعة عين تلك الغياهب المتراكمة على مسافة طويلة فتمكِّن الانسان من التمتُّع ببعض البدائع التي ذكرناها آنفاً على سبيل السرعة والايجاز

امَّا اصفى البحار مياهاً وبالتالي انسبها للتنقيب هي الواقعة في جوار دائرتي الانقلاب مثلاً حول جزيرة تاهيتي (Tahiti)

واخيراً لا يندّ عن ذهن المطلعين ان من اجمل واوسع العلوم العصرية الجديدة علم المحيط (l'Occanographie) المتناول في نطاقه الواسع كل ما انطوت عليه اعماق البحار من الجمادات والنباتات والحيوانات على اختلاف انواعها . ومن اشهر رافعي لواء هذا العلم المتضلِّعين من فروعه العديدة الواسعة امير موناكو وهي الامارة الصغيرة المستقلة الواقعة على شاطىء البحر المتوسط بين فرنسة وايطالية . فهذا النابغة هو من اعظم روَّاد اعماق المحيط وقد كرَّس لهذه الغاية قواه ووقته وماله فوسَّع نطاق العلم الحديث توسيعاً اطار صيتهُ من المشارق الى المغارب وضمن له الخلود في تاريخ المعارف البشرية . ومن اجلِّ الخدم التي ادَّاها لعشَّاق علم المحيط تأسيس متحفين لهُ احدهما في مدينة موناكو قاعدة امارته والآخر في باريس وكلاهما حافل ببعض الكنوز الدفينة في قعر البحار . فسبحان الخلَّاق العظيم القدير الذي يتنازل ويكشف لنا على توالي العصور في هذه الارض الصغيرة الحقيرة آيات رائعة الحسن تنبئنا ولو يسيراً بما عسى ان يكون جمال الاله اللامتناهي الكمالات

المئة السابعة

لإنشاء رهبانيَّة مار فرنسيس الثالثة

للاديب نقولا پاپانيقولا

في يوم عيد الفطاس الاخير اصدر الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر المالك سعيدا براءةً جليلة الفحوى بليغة المعنى وجَّهها الى الكنيسة جمعاء ذكر فيها وقوع موسم عظيم اراد بهِ تذكار المئة السابعة لانشاء الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة الثالثة المعروفة برهبانيَّة

يستخدم الرُّوَّاد أنور المصابيح الكهربائية فهي تبدِّد بلمعة عين تلك الغياهب المتراكمة على مسافة طويلة فتمكِّن الانسان من التمتُّع ببعض البدائع التي ذكرناها آنفاً على سبيل السرعة والايجاز

امَّا اصفى البحار مياهاً وبالتالي انسبها للتنقيب هي الواقعة في جوار دائرتي الانقلاب مثلاً حول جزيرة تاهيتي (Tahiti)

واخيراً لا يندّ عن ذهن المطلعين ان من اجمل واوسع العلوم العصرية الجديدة علم المحيط (l'Occanographie) المتناول في نطاقه الواسع كل ما انطوت عليه اعماق البحار من الجمادات والنباتات والحيوانات على اختلاف انواعها . ومن اشهر رافعي لواء هذا العلم المتضلِّعين من فروعه العديدة الواسعة امير موناكو وهي الامارة الصغيرة المستقلة الواقعة على شاطىء البحر المتوسط بين فرنسة وايطالية . فهذا النابغة هو من اعظم روَّاد اعماق المحيط وقد كرَّس لهذه الغاية قواه ووقته وماله فوسَّع نطاق العلم الحديث توسيعاً اطار صيتهُ من المشارق الى المغارب وضمن له الخلود في تاريخ المعارف البشرية . ومن اجلِّ الخدم التي ادَّاها لعشَّاق علم المحيط تأسيس متحفين لهُ احدهما في مدينة موناكو قاعدة امارته والآخر في باريس وكلاهما حافل ببعض الكنوز الدفينة في قعر البحار . فسبحان الخلَّاق العظيم القدير الذي يتنازل ويكشف لنا على توالي العصور في هذه الارض الصغيرة الحقيرة آيات رائعة الحسن تنبئنا ولو يسيراً بما عسى ان يكون جمال الاله اللامتناهي الكمالات

المئة السابعة

لإنشاء رهبانيَّة مار فرنسيس الثالثة

للاديب نقولا پاپانيقولا

في يوم عيد الفطاس الاخير اصدر الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر المالك سعيدا براءةً جليلة الفحوى بليغة المعنى وجَّهها الى الكنيسة جمعاء ذكر فيها وقوع موسم عظيم اراد بهِ تذكار المئة السابعة لانشاء الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة الثالثة المعروفة برهبانيَّة

التوبة فأطرأ ذاك المشروع السامي الذي باشرهُ فريد عصرهِ القديس الكبير فرنسيس الاسيزيّ الساروفيمي الذي ما اكتفأ بتأسيس رهبانيَّتين لجنسي ابناء الكنيسة الذكور والاناث فقدَّس بهما الوفأ بل ربوات وربوات من الناس فدعاهم الى الكمال الرهبانيّ الذي بلغوا على مثالهِ ذروتهُ فشرَّفوا العالم بممارسة اعظم الفضائل بل اراد ايضاً ان يقدّم لكافَّة المؤمنين العائشين في العالم وسائط قريبة المنال تنقذهم من شرورهِ وتؤهلهم لخلاص نفوسهم بل تساعدهم على بلوغ الكمال المسيحيّ . فللهِ درُّها شجرةً عاديَّةً متأصلة الجذور باسقة الفروع نامية الاغصان لم يقوَ الدهر على استئصالها مدَّة سبعة قرون

فهلمَّ بنا نلقِ النظر الى ذاك الفرع الثالث الذي يقع في هذه السنة تذكار قرنهِ السابع فنروي شيئاً عن اصلهِ وقانونهِ وشرفهِ وامتيازاتهِ

١ اصل رهبانيَّة مار فرنسيس الثالثة

كان القديس فرنسيس في السنة ١٢٢١ خرج الى الدساكر والقرى المجاورة لوطنهِ اسيزي ليلقي فيها المواعظ ويرشد اهلها الى التوبة فبلغ الى قلعةٍ تُدعى كرنيريو (Carnerio) تبعد اربعة اميال عن اسيزي فهناك تألَّب الشعب لاستماع كلام الله فخطب القديس في احتقار العالم واباطيلهِ بغيرةٍ عظيمة أثارت في قلوب سامعيهِ الرغبة في جحود الدنيا والزهد بحطامها فطلبوا الى القديس ان يقبلهم في عداد رهبانهِ وراهباتهِ واذ وجدهم مرتبطين بروابط الزواج لم يسمح لهم فرنسيس بان يهجروا بيوتهم بل عرض عليهم رهبانيَّةً اخفّ توافق حالتهم في الدنيا دعاها برهبانيَّة التوبة بحيث يخدمون الله في بيوتهم رجالاً كانوا او نساء ويقدّسون حياتهم بالعيشة الصالحة وممارسة الفضائل المسيحيَّة في العالم ووعدهم انَّهُ يضع لهم قانوناً مناسباً لهذه الغاية . فسُرَّ العموم لهذا الخبر واقبلوا على تحقيقهِ اقبالاً عظيماً كان سبباً لاصلاح مدنٍ بل اقطار برمَّتها . وكان اول من طلب الانضواء الى هذه الرهبانيَّة العالميَّة احد تجَّار مدينة كنَّارا (Cannara) المستوطن في قرية كاجيانوني (Caccianone) اسمهُ لوشيوس كان القديس ردَّهُ الى التوبة بمواعظهِ وكان مقترناً بامرأة صالحة فجعلها فرنسيس باكورة رهبانيَّتهِ الثالثة وكلاهما قد نُظم في عداد اولياء الله

وما لبث ان تبع مثالها غيرهم من المؤمنين في جهات فيرنسة وبلاد توسكانا فاهتمّ فرنسيس بوضع قانون خاصّ لهؤلاء المتعبّدين كما انَّهُ البسهم ثوباً غاية في الحشمة امتازوا بهِ في اعين الناس وهو عبارة عن ثوب طويل رماديّ اللون يثبتهُ على احقائهم زنَّار حبلٍ معقَّد

٢ قانونه الرهبانيّ الثالث

ان الجماهير المجمهرة التي تزاحمت حول القديس فرنسيس لتتبع رهبانيَّتهُ العاليَّة الجديدة اضطرَّتهُ الى ان يُسرع ويكتب لهم قانوناً يجرون عليهِ في العالم. فوضعهُ بعد ان استجارَ بالصلاة وطلب معونتهُ تعالى وجعلهُ في ٢٣ فصلاً اودع فيها لبابَ التعاليم الانجيليَّة. وكان اوَّل ما حثّ بهِ على طلبتهِ الحفظ التامّ لوصايا الله العشر ولوصايا كنيستهِ ثمَّ فرض عليهم ان يلبسوا لباساً بسيطاً بعيداً عن الجاه العالميّ ويمتنعوا عن حضور المراقص والولائم والمسارح وبالاجمال كلّ المحفلات العالميَّة الباطلة وينكفُّوا عن حلف اليمينات الَّا وقت الضرورة ثم يحتموا عن اكل اللحم كلّ يوم اثنين واربعاء ما عدا انقطاعات الكنيسة وكذلك قيَّدهم ببعض الاصوام غير الاصوام المفروضة وبتلاوة صلوات معلومةٍ كلّ يوم صباحاً ومساء وقبل الاكل وبعدهُ مع وجوب التقرُّب من الاسرار المقدَّسة في بعض الاعياد. وممَّا قضى بهِ في قانونهِ ان لا يحمل الاخوة الاسلحة الَّا لاجل الدفاع عن الكنيسة والايمان المسيحي والوطن باجازة مرشديهم وان يخصُّوا شيئاً من مالهم للصدقات والاعمال الخيريَّة ويسعوا في تأليف القلوب ونشر السلام ويزوروا الاخوة المرضى ويتعلُّوا لراحة نفسهم بعد وفاتهم

فليس هذا القانون كما ترى سوى نظام الحياة المسيحيَّة وعيشة المؤمنين الصادقين. وجعل القديس فرنسيس للمنتمين الى هذا القانون مرشدين من رهبانيَّاتهِ الكبيرة يزورونهم من وقت الى آخر ويراقبون انطباق اعمالهم مع القانون المذكور ويردعونهم عن كلّ ما يخالف بنودهُ السابقة

وهذه الرهبانيَّة الثالثة تصلح ليس لاهل العالم فقط بل لكل الكهنة العالميّين قد جعل لها اطواراً كأطوار الرهبانيَّات كطور الطالب الدخول وطور المبتدئ ثمَّ اخيراً بعد سنة تامَّة اذا قام فيها المبتدئ بواجباتهِ يُنظَم في سلك الاخوة ويفوز بكل النعم الممنوحة لهم في حياتهِ وبعد مماتهِ

ثمّ انّ هذا القانون الذي وضعهُ القديس فرنسيس اثبتهُ كثيرون من ائمّة الاحبار كالباباوات اونوريوس الثالث وغريغوريوس التاسع ونقولا الرابع وكثيرون غيرهم ونوّهوا بفضلهِ وحرّضوا المؤمنين على التقيُّد بهِ ولذلك رأوا تحوير بعض بنودهِ لتوسيع نطاقهِ في كلّ انحاء المعمور فخفّفوا شيئاً من اثقالهِ من جهة اللبس الرمادي وغيرهِ وبخصوص الانقطاعات والاصوام والصلوات دون ان يغيّروا شيئاً من جوهرهِ بخصوص العيشة المسيحيّة والابتعاد عن كل فخفخة وتقشّف والمواظبة على الاسرار والصلاة العقليّة وفحص الضمير وما اشبه من الرياضات الروحيّة الجارية بين الرهبان

والثوب المختصّ اليوم بالرهبان الثالثيين يُلبس تحت الثوب العادي وهو عبارة عن رقعتين كثوب الكرمل اكبر قطعاً منهُ وكذلك الزنّار يتمنطق بهِ الاخوة تحت ثوبهم العالميّ . وفي بعض حفلاتهم الرسميّة يلبسون ثوبهم الكامل

امّا الاصوام فقد يُفرَض منها للثالثيين حاضراً يومان اعني في بيرموني عيد الحبل بلا دنس وعيد مار فرنسيس

وكذلك الصلوات فانّها مقتصرة على الكهنة بتلاوة فرضهم اليومي وعلى اهل العالم بتلاوة فرض اخويّة العذراء او بدلاً منهُ بتلاوة الصلاة الربيّة والسلام الملائكي والمجد اثنتي عشرة مرّة كلّ يوم

فبهذه التسهيلات اضحى قانون الرهبانيّة الثالثة قريب المنال يستطيع الانضواء اليهِ وتتميم فرائضه اليسيرة كلّ المؤمنين . فيا ليتهم يبادرون الى اتباعهِ مع ما ينالونهُ بهِ من الشرف والنعم الجزيلة

٣ شرف الرهبانيّة الثالثة ونعمها الوافرة

انّ الكنيسة الكاثوليكية منذ ظهرت الرهبانيّة الثالثة لم تزل ترعاها بعينها الساهرة وتجزل عليها نعمها الفائضة وتنهض همم مرشديها وتنشّط المؤمنين على الانتظام في سلكها لما عاينت من اثارها الجيّدة ومفاعيلها العجيبة في النفوس

واوّل فضل يُعزى لهذه الرهبانيّة الثالثة انّها نفخت في الكنيسة روحاً جديداً غيّر وجه العالم في تلك القرون الوسطى التي كان غلب عليها روح المنازعات القوميّة والحروب الاهليّة مع الانصباب على الترفّه ورغد العيش . فكانت الرهبانيّة الثالثة احسن دواء لهذين الدائين بنشرها روح السلام وبتجرّد اصحابها عن الترف والتقشّف

وكان المنتمون الى هذه الرهبانيَّة ألوفاً مؤلَّفة من كهول وشبان ينبذون مهنة الجنديَّة ليرتزقوا بالزراعة والصناعة حتَّى انَّ الامبراطور فردريك الثاني أيس من تجنيد جيش كان يعدُّهُ لحروبهِ لمناهضة الدين

ومن شرف الرهبانيَّة الثالثة انَّهُ نشأ منها رهبانيَّات قانونيَّة عديدة كان يعيش اصحابها في الاديرة ويبرزون النذور الرهبانيَّة. ولكلٍّ منها اعمال جليلة وتاريخ واسع

وعلى مثال هذه الرهبانيَّة الثالثيَّة الفرنسيسيَّة قامت ايضاً بين اهل العالم رهبانيَّات ثالثيَّة اخرى من الدومنيكان والكرمليتان والاوغسطينيين تقدَّست فيها نفوس الوف ومئات الوف من الأسر الشريفة والعائلات المسيحيَّة فكان الفضل للسابق

ومما يشهد على شرف الرهبانيَّة الثالثيَّة في الكنيسة وجميع انحائها ما خرج منها من اولياء الله وقديسيه وقدّيساتهِ المثبتة قداستهم من الكنيسة كالقديس كونراد والقديس ايفو والقديس لويس ملك فرنسا والقديس فرديناند الملك والقديس روكس والقديس إلزيار وبعض شهداء اليابان وكالقديسات انجيل دي مريسي ومرغريتا دي كورتونا واليصابات ملكة المجر واليصابات ملكة البرتغال والقديسة روزا دي ڤيتربو . ونال غيرهم في الكنيسة رتبة الطوبويين والمكرَّمين يطول بنا تعدادهم لكثرتهم

ومنَّ انحازوا الى هذه الرهبانيَّة الثالثة ملوك وامراء ثمَّ كهنة عديدون تشرَّف بعضهم برُتَب مختلفة منهم اساقفة ومنهم كرادلة ومنهم احبار رومانيُّون نذكر بعضاً منهم ليرى القرَّاء فضل هذه الرهبانيَّة على الدين والدنيا معاً

فمن ملوك فرنسة لويس الثامن ملك فرنسة وابنهُ القديس لويس التاسع ومن ملوك اسبانية كرلوس الثاني وفيليبوس الثاني والثالث والرابع وفرديننس الثالث ومن ملوك النمسة القديس رودلفوس وكرلوس الخامس وفردريكس الثالث ومن ملوك پولونية كازيميروس الرابع ومن ملوك البرتغال الفونس الاوَّل وفرديننس وبطرس ومن ملوك بوهيمية كرلوس الرابع ثم لويس ملك المجر وميخائيل باليولوغ امبراطور القسطنطينيكوس ملك الروم . ومثلهم ملكات عديدات كمريم تريزا ملكة فرنسة ومرغريتا امرأة القديس لويس الملك وامه بلانش دي كستيلية وحنة ملكة كستيلية وايزبلا ملكة اسبانية الخ.

ومنّ رُقيَ الى السدّة البابويّة بعد دخوله في الرهبانيّة الثالثيّة الاحبار الرومانيّون غريغوريوس التاسع والعاشر ومرتينوس الرابع وكفى فخرًا الرهبانيّة الثالثيّة انّ منها خرج الباباوات الاربعة الأخيرون بيوس التاسع ولاون الثالث عشر وبيوس العاشر وبنديكتوس الخامس عشر الجالس حاضرًا على العرش الرسوليّ

وقد تشرّفت هذه الرهبانيّة الثالثة بما نالتهُ من المناشير والبراءات الرسوليّة التي اثنى فيها رؤساء الكنيسة الاعظمون اطيب الثناء على هذا المشروع الجليل ولولا ضيق المقام لأثبتنا منها قسمًا صالحًا فنكتفي بنُتَف قليلة ننقلها عن منشور قداسة الطيب الذكر لاون الثالث عشر الذي اصدرهُ في ١٧ ايلول سنة ١٨٨٢ قال:

« انّ هؤلاء الرهبان العاملين كانوا حقيقةً جنودًا للمسيح وقاموا في الكنيسة كالكاهنين الجدد فأضحوا سندًا امينًا للسلام العام. وبما انّهم اقتفوا آثار فضائل مؤسّسهم واتّبعوا قوانينهُ اجتهدوا ما استطاعوا على إحياء وترقية الآداب المسيحيّة في البلاد فاطفأوا نيران الفتن وترعوا الاباحة من ايدي الثائرين وقطعوا اسباب ودواعي المخاصمات فكم عزّوا من باغين وجبروا من مهتضين وكم استأصلوا من جراثيم التعاسة والرذل وكم ناهضوا من فساد وازالوا من شرور. فن هذه الطغمة الثالثة كمن ينبوع صافٍ جرت مياه الفضائل المسيحيّة من دمائه اخلاق وطمأنينة عامّة وسلام بيتيّ وحفظ حقوق الافراد والتسدُّن الصحيح فكل اوربّة واجب عليها الشكر للقديس فرنسيس لأنها بهِ امكنها حفظ جميع املاكها »

ثمّ حرّض المؤمنين على الدخول فيها مبيّنًا لهم ما سيربحون من فضلها . وقد عاد لاون الثالث عشر في براءات اخرى عديدة وكرّر الثناء عليها ولاسيّما في براءتهِ الصادرة سنة ١٨٨٣ التي اوّلها Misericors Dei Filius . ومثلهُ فعل البابا بيوس العاشر . وفي البراءة التي اشرنا اليها في اوّل هذه المقالة للحبر الاعظم بنسبة هذا العيد المئويّ فصول كنّا نودّ ان نعرّب معانيها البليغة واقوالها المجدية. ومما وصفهُ هناك المحبّة والسلام الفضيلتين اللتين اوصى بهما السيّد المسيح وكانا كشعار الرهبانيّة الثالثيّة في كلّ نواحي المعمور مارس بهما ابناء القديس فرنسيس الثالثيّون بتآلفهم كما نشروهما بتماليمهم فدعا امام الاحبار اهل عصرنا اليهما ونحن الآن في حاجة ماسّة الى ممارستهما بعد ما أصيب بهِ العالم من الحرب الكونيّة

ومما اوصى بهِ ايضًا الحبر الاعظم على مثال الرهبانيّة الثالثيّة العود الى بساطة الحياة والاستكفاف من الاعتناء المفرط بالجسد والحياد عن الازياء النسائيّة الباطلة والملابس الخلاعيّة وكلّ ما ينافي الروح المسيحيّ ويدفع القلوب الى الشهوة والفساد

ومما يدلُّ على اعتبار رؤساء البيعة للرهبانيَّة الثالثة النعم العديدة والنفارين المختلفة التي لم يزل الكرسي الرسولي يمنحها للمنتمين الى هذه الرهبانيَّة فهي بعد الرهبانيَّات الكبرى اغنى الجمعيَّات الرهبانيَّة بتلك الكنوز الروحيَّة . وناهيك بها داعياً قوياً يكفي ليحدو بجميع المؤمنين الى ربحها لتشهم بسعادة الدارين

٤ الرهبنة الفرنسيسية الثالثة في انحاء الشرق

انَّ اثار القداسة والبرارة التي اجتناها الغرب عن يد الرهبان الثالثيين قد اصاب الشرق منها قسماً صالحاً . وذلك منذ انشاء الرسالات الفرنسيسيَّة في اصقاعنا الشرقيَّة وكان ذلك منذ عهد القديس فرنسيس الذي قدم الى مصر ثمَّ ارسل البعض من تلاميذهِ الى عكَّا والقدس الشريف ثمَّ نمت هذه الرسالة وأنشأت بتمادي الزمان عدَّة اديرة في انحاء سوريَّة وفلسطين وفي جزيرة قبرس . فكان الرهبان يسعون حيثما يحلُّون بان يجذبوا اهل العالم الى الرهبانيَّة الثالثة فوقع كلامهم احسن وقع بين نصارى الشرق واجاب كثيرون الى دعوتهم واعتنقوا بطيب القلب القانون الثالثي . ثمَّ جاء الى سوريَّة الرهبان الكبوشيُّون في القرن السابع عشر فنشروا مثل الفرنسيسيين بين المؤمنين الدعوة الى الرهبانيَّة الثالثة فوجد صوتهم صدى استحسان في قلوب الكثيرين فشاعت هذه الرهبانيَّة خصوصاً في حلب كما يشهد على ذلك كتاب مخطوط في مكتبة الآباء اليسوعيين للاب لاونردوس يشرح فيهِ كلَّ ما يختصُّ بهذا القانون والمنتمين اليهِ والكتاب تاريخهُ سنة ١٧٣٣ يُستدلُّ منهُ انتشار الرهبانيَّة الثالثة في جهات هذه البلاد حيثما كان للآباء الفرنسيسيين اديرة ورسالات . ومما ذُكر هناك في جملة المنتمين الى هذه الطائفة امير من امراء بغداد المتنصِّرين لم يروِ شيئاً عن اخبارهِ

والرهبانيَّة الثالثيَّة في الوقت الحاضر يتبع قانونها كثيرون في القدس الشريف وفي جهات فلسطين والشام ومصر وما بين النهرين تحت ادارة ابناء القديس فرنسيس وهم غالباً يعيشون عيشةً فرديَّة ويقومون بواجباتهم كلٌّ منهم في بيتهِ . وفي بعض الانحاء كما في دمشق وحلب يجتمعون في ايَّام معلومة لاقامة مناسكهم التقويَّة

وقد سعى حضرة الآباء الكبوشيين في تنظيم الرهبانيَّة الثالثيَّة في جهاتنا على صورة اخريات يُعنون بجمعها في بعض أيَّام السنة . باشر بذلك حضرة الاب ريمي المرسل

النيور ثمّ لما تراكمت عليه الاشغال خلفهُ في هذا العمل التقوي حضرة الاب يعقوب حدّاد الغزيري سنة ١٩٠٦ ومذ ذاك الحين استنفد وسعهُ في تنشيط الاخوان وتنميتهم فنفخ فيهم روحاً جديداً يُشار اليهم بالبنان في تقاهم وعيشتهم الصالحة وغيرتهم وبلَغ حضرتهُ عددهم الى نحو اربعة آلاف لولا انَّ المجاعات والاوبئة في ايّام الحرب أودت بحياة كثيرين منهم

وقد وقفنا على بعض معلومات عن حالة الرهبانيَّة الثالثيَّة في بيروت ولبنان تدلُّ على نجاحها واقبال الاهلين عليها. فانَّ حضرة الاب يعقوب يتولّى اليوم ادارة خمسين شركة من الاخوان رجالاً ونساء انشأها في ٢٥ مكاناً من قرى لبنان وسواحل بيروت كالدامور وجونية وانتيلياس وجبيل وبترون وحارة حريك وشتنير وساحل علما ومعراب وغيرها فيجتمع الاخوان في اوقات معلومة ليسمعوا مواعظ مرشدهم ويجدّدوا نشاطهم في اقام واجباتهم . ولهم عيد سنوي غاية في الرونق والبهاء وهو يوم عيد الصليب الواقع في ١٤ ايلول يجتمعون فيهِ من كلّ فجّ وصوب ويلبسون ثوبهم الرهباني ويقضون النهار في العبادة وتوثيق عرى الاخاء فيختبرون «ما اطيب وألذّ ان يسكن الاخوة معاً» . وهذا اليوم قد تعيَّن منذ عهد قريب كعيد الثالثيّين الرسميّ . ومن اعيادهم الرسميَّة ايضاً عيد القديسة اليصابات ملكة المجر التي شرَّفت هذه الرهبانيَّة بعظم قداستها .

وفي الختام نتمنّى للرهبانيَّة الثالثيَّة كلّ ازدهار وانتشار فانَّ العالمين من المسيحيين قلّما يجدون مثلها وسيلةً لينجوا من اخطار العالم ويزيدوا فضلاً وصلاحاً ويجلبوا عليهم وعلى عيالهم نعم الله وبركاتهِ العميمة

مطبوعات حديثة جديدة

MÉLANGES DE L'UNIVERSITÉ S^t JOSEPH. T. VII^e, in.-8°, pp. 448, 40 Planches. *Imprimerie Catholique, Beyrouth,* 1921

مجموعة كلّية القديس يوسف

هي مجموعة المكتب الشرقي الذي لم يَعُدْ الى نظامهِ بعد الحرب . وقد تـأخر

النيور ثمّ لما تراكمت عليه الاشغال خلفهُ في هذا العمل التقوي حضرة الاب يعقوب حدّاد الغزيري سنة ١٩٠٦ ومذ ذاك الحين استنفد وسعهُ في تنشيط الاخوان وتنميتهم فنفخ فيهم روحاً جديداً يُشار اليهم بالبنان في تقاهم وعيشتهم الصالحة وغيرتهم وبلَغ حضرتهُ عددهم الى نحو اربعة آلاف لولا انَّ المجاعات والاوبئة في ايّام الحرب أودت بحياة كثيرين منهم

وقد وقفنا على بعض معلومات عن حالة الرهبانيَّة الثالثيَّة في بيروت ولبنان تدلُّ على نجاحها واقبال الاهلين عليها. فانَّ حضرة الاب يعقوب يتولّى اليوم ادارة خمسين شركة من الاخوان رجالاً ونساء انشأها في ٢٥ مكاناً من قرى لبنان وسواحل بيروت كالدامور وجونية وانتيلياس وجبيل وبترون وحارة حريك وشتنير وساحل علما ومعراب وغيرها فيجتمع الاخوان في اوقات معلومة ليسمعوا مواعظ مرشدهم ويجدّدوا نشاطهم في اقام واجباتهم . ولهم عيد سنوي غاية في الرونق والبهاء وهو يوم عيد الصليب الواقع في ١٤ ايلول يجتمعون فيهِ من كلّ فجّ وصوب ويلبسون ثوبهم الرهباني ويقضون النهار في العبادة وتوثيق عرى الاخاء فيختبرون «ما اطيب وألذّ ان يسكن الاخوة معاً» . وهذا اليوم قد تعيَّن منذ عهد قريب كعيد الثالثيّين الرسميّ . ومن اعيادهم الرسميَّة ايضاً عيد القديسة اليصابات ملكة المجر التي شرَّفت هذه الرهبانيَّة بعظم قداستها .

وفي الختام نتمنّى للرهبانيَّة الثالثيَّة كلّ ازدهار وانتشار فانَّ العالمين من المسيحيين قلّما يجدون مثلها وسيلةً لينجوا من اخطار العالم ويزيدوا فضلاً وصلاحاً ويجلبوا عليهم وعلى عيالهم نعم الله وبركاتهِ العميمة

مطبوعات حديثة جديدة

MÉLANGES DE L'UNIVERSITÉ S^t JOSEPH. T. VII^e, in.-8°, pp. 448, 40 Planches. *Imprimerie Catholique, Beyrouth,* 1921

مجموعة كلّية القديس يوسف

هي مجموعة المكتب الشرقي الذي لم يَعُدْ الى نظامهِ بعد الحرب . وقد تـأخر

نشرها الى الآن لما نال مطبعتنا الكاثوليكيّة من الآفات التي كادت تقضي على حياتها . ومع ما لقيهُ اصحاب هذه المجموعة في طريقهم من العثرات قد تمكّنوا بأيدٍ تعالى من ازالتها . ومن يَرَ هذا الجزء الجديد لا يحسبهُ ادنى مقاماً من زملائهِ السابقين وهو لا يقلّ عن ٤٤٨ صفحة يُضاف اليهِ قسم خاص يحتوي ٤٠ صورة من العاديّات الموصوفة فيهِ وكلُّها في غاية الاتقان . وهذا فهرست اهمّ المقالات المندرجة فيهِ :

(١ كتابات بلاد قبادوقية وبنطوس للاب دي جرفانيون اليسوعي . (٢ المقابلة بين لغة ملنجة السامية ولغة الشام للمرحوم الاب لويس جرّفال اليسوعيّ . (٣ تصوّف الإمام الغزّالي للدكتور اسين پلاسيوس . (٤ دروس آثار شرقيّة للاب سبستيان جرّفال اليسوعي . (٥ مصانع نارّانية قديمة في بيروت للاب رينه داريب اليسوعي . (٦ خلافة يزيد بن معاوية . ملحوظات وفهارس للاب هنري لامنس اليسوعي . (٧ فهرس مخطوطات المكتبة الشرقيّة (الوارد وصفهُ) للاب لويس شيخو اليسوعي . (٨ ليس ابن قتيبة مؤلف كتاب النَّعَم للاب موريس بويج اليسوعي . (٩ خواطر عن علي بن ابي طالب للاب ه . لامنس . (١٠ نقائض جرير والإخطل جمعها ابو تمّام للاب انطون صالحاني اليسوعي . (١١ كتابات يونانيّة مكتشفة في بيروت . للكابيتان ميئيل دوبويسون وللاب رينه موتردّ اليسوعي . (١٢ ما عرفهُ اللاتين في القرون الوسطى عن فلاسفة العرب . ثمّ وصف عدّة مطبوعات ج . لوفنك

Inscriptions grecques de Beyrouth par le Lieutenant du Mesnil du Buisson et le Père René Mouterde

١٠ كرّاس ذو ١٣ صفحة يحتوي وصف اربع كتابات يونانيّة اكتشفها حديثاً اللازم دومنيل دو بويسون والاب رينه موتردّ اليسوعي في بيروت وفسّرا مضامينها تفسيراً وافياً وفيها عدّة معلومات لتاريخ مدينتنا القديم

Catalogue raisonné des Manuscrits de la Bibliothèque Orientale de l'Université de Beyrouth, par le P. L.Cheikho S. J., *fasc.II*, 1921. *pp.* 93-152

١١ هو جزءٌ ثانٍ من وصف مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة تابعٌ لما سبق لنا وصفهُ من المخطوطات التاريخيّة (المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٧١٠) يحتوي وصف ٩٥ مخطوطاً منها ١٣ كتاباً تاريخيّاً جديداً ثم ١٤ كتاباً جغرافيّاً ثم ٣٨ كتاباً في علم الهيئة وعلم النجوم ثم ١٢ كتاباً في الطبيعيّات وفنّ الموسيقى وعلم الاثقال واخيراً ٢٠ كتاباً في الرياضيّات . على اننا لا نزال آسفين على بعض من المخطوطات الموصوفة التي اخذتها يد اثيمة في مدّة الحرب ونطلب من ذوي المروّة ان يدلّونا اليها اذا وقفوا عليها

G. Loclerc: Histoire du Moyen-Age. Collection belge de Manuels d'histoire. *Etablissements Casterman. Tournai*, 1919

تاريخ القرون الوسطى

باشر محلّ كستومان في تورناي من اعمال بلجكة بنشر مجموعة تواريخ لافادة المدارس. وتاريخ القرون الوسطى هو واحد من المجموعة المذكورة يشهد لاصحابه بحصافة العقل وحسن الذوق في انشائه وترتيبه. وهذا الكتاب يستحقّ ان تتّخذهُ المدارس ليست الوطنيّة فقط بل الاجنبيّة ايضاً كدستور لتعليمها التاريخي. وفيه من الفوائد وصادق المعلومات ما يصلح للمعلّمين والمتعلّمين معاً فلا يكاد يفوت شيء مؤلفهُ من تعريف المشاريع الماديّة والادبيّة والفنيّة التي امتازت بها الاجيال المتوسّطة مع خلاصة احوالها السياسيّة فيستطيع القارئ الوقوف على حقيقتها دون الخوض في غمراتها. ويزين الكتاب عدّة تصاوير موافقة للمتن ج . ل

F. Mourret: Histoire Générale de l'Eglise. T.IX, L'Eglise Contemporaine. 2e partie. 1878-1903, 1 *vol. in*-8 . *Paris. Bloud et Gay*, 1921

تاريخ الكنيسة العام . القسم التاسع: الكنيسة العصريّة

التاريخ الكنسيّ العام الذي يؤلفهُ الكاهن مورد قد تمّ منهُ تسعة اجزاء بزمن قليل . والقسم الذي نحن بصددهِ هو التاسع من المجموع يتناول تاريخ الكنيسة من السنة ١٨٧٨ الى ١٩٠٣ اعني تاريخ بابويّة الحبر الروماني الطيّب الذكر لاون الثالث عشر روى فيه المؤلف البليغ ما جرى في تلك الحقبة من الامور الدينيّة سواء كان في باطن الكنيسة ام في علائقها مع الدول فبسط كلّ ذلك بنوع واضح وانشاء منسجم مستنداً الى اخصّ التآليف واصدقها. وفي الكتاب فهارس للمواد غاية في التدقيق وحسن التنسيق ج . ل

Dr Le Bec : Critique-et-contrôle Médical des Guérisons Surnaturelles. 1 vol., in-16. Paris, Beauchesne, 1920

انتقاد وتحقيق طبي للشفاءات العجيبة الفائقة الطبيعة

أقيم صاحب هذا الكتاب الدكتور لوباك رئيساً على اللجنة التي تفحص في مدينة لورد المرضى الواردين اليها طلباً للشفاء من العذراء البتول فكتب سنة ١٩١٧ تأليفاً

بهذا العنوان البيّنات الطبيّة على صحّة عجائب لورد حيث اثبت انهُ ممكن تحقيق بعض الشفاءات العجيبة الجارية هناك ونسبتها الى قوّة فائقة الطبيعة وذلك ببراهين مقتبسة من العلوم الطبيّة . وها هوذا قد اضاف الى كتابهِ تأليفاً آخر خصّهُ بانتقاد العلل وتشخيصها واسبابها وعلاجها الطبّي ثمّ روى على عكس ذلك ما يجري في لورد من الشفاءات على طرائق مخالفة لكلّ ما يقرّرهُ الاطباء في تآليفهم وامتحاناتهم . وهذا الكتاب من شأنهِ ان يقنع كلّ رجل صائب الادراك يطلب باستقامة الوقوف على حقيقة عجائب لورد طبياً كان او لا ج . ل

Pierre Redan : La Cilicie et le Problème Ottoman avec préface de M. R. Pinon, *in*-12, *Gauthier-Villars, Paris*, 1921

قيليقية والمسألة العثمانيّة

قال المسيو پينون في مقدّمة هذا التأليف : « انّ هذا الكتاب قد اتانا بمعلومات راهنة وحديثة عن قيليقية » . والحقّ يقال انّ المسيو ريدان مؤلفهُ جدير بهذا الثناء لانهُ عرف ان يجمع في كتاب صغير الحجم معلومات واسعة واحكاماً صادقة تدلُّ على حسن نظرهِ وكثرة ابحاثهِ فانّهُ افتتح كلامهُ بتعريف جغرافيّة البلاد وسكّانها وبيان عناصرهم واديانهم واخلاقهم ثمّ روى ما جرى من الامور بعد دخول الفرنسويين الى قيليقية من السنة ١٩١٨ الى ١٩٢٠ ثمّ خصّ فصلاً بمحصولات قيليقية وخصب تربتها وما يؤمل من ارباحها لو أُحسن القيام باستثمارها . ثمّ يفحص ما هناك من المشاكل السياسيّة معلناً باعتدالهِ في حكمهِ دون ميلٍ خاصّ الى الارمن او الى الاتراك فيقرّ بما للاوّلين من المطالبات غير المعقولة لكنّهُ يبيّن ايضاً انّ للكماليين مدّعيات لا حدّ لها . ومما يثبتهُ هناك انّ عدد النصارى في قيليقية على ما ورد في جداول الاتراك الرسميّة ٢١٥،٠٠٠ والمسلمين ١٨٥،٠٠٠ اما العنصر التركي فقليل جدًّا . ثمّ بيّن سوء نيّات الكماليين والاتراك خلافاً لما اشاعهُ المسيو لوتي وعدّد مظالمهم وخيانتهم اذ قتلوا ٣٠٠ جندي فرنسوي وسبعة الى ثمانية آلاف ارمني في مرعش واذ خانوا الرابطة الفرنسويّة في اورفة سنة ١٩٢٠ بعد ان صدّقوا على معاهدة الصلح . ثمّ يستقري الكاتب ما في قيليقية من العناصر ليبيّن علائقها مع الدولة الفرنسويّة . فهو يثني اوّلاً الثناء الطيب على الطوائف الكاثوليكيّة وعلى المرسلين اللاتين الذين بمشروعاتهم

المختلفة حبّبوا فرنسة الى اهـل الشرق حتّى صار اسم الفرنسويّ مرادفـاً لاسم الكاثوليكيّ ثم يذكر الارمن وخواصهم المميّزة لهم عن بقيّة الطوائف وهو يشجي اليهم باللائقة في بعض الامور لكنّهُ يزكّيهم في كثير منها ويُطري نخوتهم في عيتاب وحجين حيث فقدوا عشرة الاف نفس في السنة ١٩٢٠ لسبب تطهّرهم بفرنسة وهم مستعدُّون في كلّ وقت للانضمام اليها على شرط ان تعضدهم وتصونهم من ضربات اعدائهم . وقد ختم الكاتب كلامهُ بذكر ممثلي فرنسة حاضراً في قيليقية وما نالوهُ من الاعتبار بحسن تصرُّفهم بين اهلها ولاسيّما بدراية وحكمة الجنرال دوفيو الذي لا ينقصهُ شيءٌ لبسط السلام في تلك الاصقاع بشرط ان تمدَّهُ الدولة بالمساعدات اللازمة

الاب ف . تورنيز

Comte Emmanuel de Rougé : Manifestations diaboliques contemporaines, *in*-12, *Paris, Téqui*, 1921

الظواهر الشيطانية العصريّة

قد سبق للابوين يوسف مونجان ويوسف منسى مقالتان في المشرق عن السپيريتسم حيث تتبّعا تاريخ المذهب الروحاني ومظاهر اتهِ المختلفة وما يدخل في كثير منها من الخزعبلات ومكر النصّابين مع تعريفها بأحكام الكنيسة في بعضها التي لا يُستطاع نسبتها الى غير قوًى خارجة عن الطبيعة المحسوسة اعني الى الارواح الشريرة . وهـذا الكتاب المعنون آنفاً يؤيّد هذا الحكم بما يرويهِ من عدّة وقائع ظهر فيها جليـاً عمل الابالسة خزاهم الله . على انّنا نقرّ بانّ المؤلف وهو الكونت مانويل دي روجهْ قد تجاوز حدود الاعتدال في بعض آرائهِ لاسيّما في ما كتبهُ عن المغناطيسيّة والتنويم اللذين لم تبتّ الكنيسة فيهما حكماً نهائيّاً الى الان ل . ش

F. Cocart (l'abbé):ENFANT QUE FERAS - TU PLUS TARD ? in-16°. pp. XIII-66. Paris, Pierre Téqui., 82 rue Bonaparte

ماذا تريد ان تصنع يا بني في مستقبل حياتك ؟

انّ العدد العديد من الكهنة الذين ذهبوا ضحيّة الحرب في فرنسة أخلى كثيراً من الاماكن من رُعاتها فتلق الاساقفة من جرّاء ذلك واخذوا يسعون في تلافي هذا الضرر العظيم بتنمية عدد المترشّحين للدعوة الاكليريكيّة وهذا الكتاب الصغير مما يمهّد الطريق لكثير من الاولاد ليجعلوا العلم وينتظموا في سلك الاكليروس . فان

الكاهن مؤلفهُ يوجه الكلام الى الناشئة بين السنّ العاشرة الى الرابعة عشرة ويفسّر لهم ما هي الدعوة الكهنوتيّة وكم عظيم هو شرفها وكيف يمكن الولد ان يميّز هذه الدعوة وبأي واسطة يستطيع ان يتبعها ويغلب العوائق التي تحولهُ دون تلبية صوت الله لاسيّما من قبل والديهِ اللذين لا تجيز لهما الذمّة بان يتصدّيا لدعوة اولادهما . فهذا الكتاب يصلح ان يتّخذهُ الكهنة كمستورهم في ارشاد الشبيبة ومساعدة الاولاد في ادراك دعوتهم ويا حبّذا لو عرّبهُ احد الغيورين ليجني من ثمارهِ الشهيّة اهل الشرق فيزيدوا اعتبارًا للدعوة الاكليريكيّة ويساعدوا طوائفهم في تهذيب كهنة صالحين كما يريدهم الله ويحتاج اليهم المؤمنون الاب ي . ديلنسيغر

التأمّلات اليوميّة في الحقائق المسيحيّة والاكليريكيّة

للاب شيفاسي عرّبهُ القس مبارك ثابت الديراني اللبناني

المجلّد الاول . طبع في بيروت في مطبعة الاجتهاد ١٩٢٠ (ص ٣١٢)

بين الاسباب التي تساعد على تفاقم الشرور في الارض ما قالهُ ارميا النبي (١٢ : ١١) : « قد خُرّبت الارض كلّها لأنّهُ لا انسانٌ يتأمّل في قلبهِ » فلو كان المسيحيون يصرفون نظرهم الى اعتبار الحقائق الابديّة لارتدّوا الى الصلاح وعاشوا بالتقى وممارسة الفضيلة . وها هوذا كتاب يحسن بهم أن يتّخذوه كدليل للحياة الفضلى يحتوي لكل يوم من ايّام السنة تأمّلًا في احد اسرار حياة السيّد المسيح وتعاليمه السماويّة قد نقلهُ حضرة رئيس دير بحنين القس مبارك ثابت من الافرنسيّة نقلًا محكمًا بلغة فصيحة وهو مقسم الى اقسام سهلة ثمّ يُشرح كلّ قسم شرحًا وجيزًا نظريًا وعمليًا يرشد المتأمل الى كلّ واجباتهِ نحو خالقه ونحو قريبهِ ونحو نفسهِ . فنحضّ كل المؤمنين ولاسيّما الكهنة والرهبان والاكليريكيّين على مطالعتهِ واجتناء اثارهِ الطيّبة ل . ش

التعليم الوطني اللبناني

من آثار جمعيّة المساعي اللبنانيّة في مصر

طبع بمصر في مطبعة الهلال سنة ١٩٢١ (ص ٦٨)

غاية مؤلفي هذا الكتاب ان يرشدوا اللبنانيّين منذ حداثة سنّهم في المدارس الى معرفة واجباتهم الوطنيّة . ولذلك قد وضع على طريقة التعاليم المدرسيّة بالسؤال والجواب وهو يُقسم الى ثلثة ابواب : الاوّل في الوطن اجمالًا لتعريف لبنان واسمهِ

وحدوده وعناصره ومميّزاته وبعض تاريخه . والثاني في حبّ الوطن واصل هذه الغريزة واسبابها والادلّة على خلوص الوطنيّة وصدقها . والثالث في الواجب نحو الوطن بخدمته والسعي في ترقّيه وبذل المال سدًّا لنفقاته العموميّة والدفاع عنهُ بالخدمة العسكريّة . فمن هذه الخلاصة يستدلّ القرّاء على حسن نيّة واضعي هذا الكتاب ليعدُّوا للبنان رجال الغد الذين سيتولّون تدبيره لاسيّما اذا فاز الجبل بالاستقلال التامّ وفي الكتاب بعض شوائب خفيفة يحسن اصلاحها في طبعة ثانية . (ص ١٢) منذ اكتشاف رسالات العمارنة صار مرجع تاريخ سواحل فينيقية الى ١٥٠٠ سنة قبل المسيح . (ص ١٦) قد ثبت اليوم لدى العلماء ان احرف الهجاء ليست من اختراع الفينيقيين وانّما ساعدوا كثيرًا على نشرها . ثمّ نسي المؤلف في تلك الصفحة ان يذكر بيروت في جملة اشهر المدن الفينيقيّة القديمة . (ص ١٠٤) الخدمة العسكرية العموميّة في نظر الفلسفة الصحيحة ليست بالامر المعقول وانّما يكفي ان يخصّ للدفاع عن الوطن فرقٌ منظّمة اختياريّة تقوم الدولة بنفقاتها ل . ش

يا للحيف : انتقاد قرار الديون

بقلم عبدالله رزق الله خير

بيروت ١٩٢١ (ص ٤٢ + ٤٢)

قد عرف القرّاء جهاد صديقنا الاديب ع . و . خير في امر الديون المعقودة وقت الحرب وما عرضهُ من الوسائط لحلّ هذا المشكل الكبير واذ لم يجد كلامهُ اذنًا صاغية عاد الى المسألة في هذه الكرّاسة كتبها في اللغتين العربيّة والافرنسيّة رجاء ان يستدرك الامر اصحابهُ وينال كلّ ذي حقّ حقّهُ . وانّما كنّا وددنا لو اكتفى الكاتب بعرض افكاره بايضاح واعتدال متحايدًا عن كل كلمة جارحة لعواطف الذين لم يجروا على رأيه . وعسى ان ينظر أولو الامر الى تقريره بعين الرضى والقبول ل . ش

غاية الحياة

محاضرة بقلم مَيّ . مطبعة المقتطف بمصر ١٩٢١ (ص ٢٢)

يسرُّنا أن نرى سيّدات فاضلات كالمحجوبة تحت اسم مَيّ يسعين في نهضة بنات جنسهنّ والحديد بالحديد يُفلح وبنا انهنّ اعلم بالداء ربّما كنّ ايضًا اخبر بالدواء . وقد قرأنا بلذّة هذه المحاضرة في غاية الحياة وقد حاولت الكاتبة الفاضلة ان تعدل

بالنساء عمَّا ينخدعن به من اعراض العالم وحطامهِ وتحوّل نظرهن الى ما هو انفع لهنَّ واجدى لمالهنَّ ولخدمة الوطن والمجتمع الانساني بتهذيب نفوسهنّ والعمل المفيد والآداب النسائيَّة الفضلى . وكنَّا وددنا لو سكتت (ص١٥) عن السفَّاحة ماري تيودور اي ماري تودور (M. Tudor) فانَّ في هذه التسمية من تحامُل اعدائها البروتستانت ما لا يجهلهُ مؤرخ مُنصف وانَّما السفَّاحة الظالمة الاثيمة اختها الملكة اليصابات قاتلة ماري ستوارد والوف من افاضل بلادها ومن الكاثوليك الابرار ل . ش

شذرات

﴿ الكلّيات الكاثوليكيَّة في الولايات المتحدة ﴾ من اجلى الشواهد على انَّ الدين حليف العلم وان رافعي لواء الكثلكة هم ايضاً في مقدّمة رافعي منار العلم ما نشاهدهُ اليوم من الازدهار العجيب في الكليّات الكاثوليكيَّة بالولايات المتحدة . فانَّ عددها قد بلغ في غرّة هذا العام ٢٢ ويضمّ مجموعها نحو ١٫٩٠٠ استاذ و ٣٠٫٨٤٩ تلميذًا وكل هذه الكليّات تحت ادارة رهبنات شتى ولاسيما اليسوعيين فانَّ لهم وحدهم اثنتي عشرة كلية جامعة ولا يُستثنى من ذلك الحكم العامّ سوى كليّة واحدة يُديرها كهنة عاليون . وهاك جدول اعظم تلك الكليات باعتبار عدد الطلبة وفقاً لاحصاء غرّة هذه السنة :

١ كلية ماركيت لليسوعيين	في ميلوكي	ربحا	٣,٦١٢ طالباً
٢ كلية فُردهام لليسوعيين	في نيويرك	ربحا	٣,٩٢٤ طالباً
٣ كلية سان لويس لليسوعيين	في سان لويس	ربحا	٢,٦٧٠ طالباً
٤ كلية نتردام دولاك (Notre Dame Du Lac)	في نُتردام	لجمعية الصليب المقدس ربحا	٣,٦٦٠ طالباً
٥ كلية القديس منصور دي پول	في شيكاغو	لجمعية رسالة هذا القديس ربحا	٢,٢٩٥ طالباً
٦ كلية جورجتَون لليسوعيين	في واشنطن	ربحا	٢,٣٦٣ طالباً
٧ كلية دوكان (Duquesne)	لجمعية الروح القدس	في پتسبرغ ربحا	٢,٣٣١ طالباً
٨ كلية لويولا لليسوعيين	في شيكاغو	ربحا	٢,١٠٠ طالب

بالنساء عمَّا ينخدعن به من اعراض العالم وحطامهِ وتحوّل نظرهن الى ما هو انفع لهنَّ واجدى لمالهنَّ ولخدمة الوطن والمجتمع الانساني بتهذيب نفوسهنّ والعمل المفيد والآداب النسائيَّة الفضلى . وكنَّا وددنا لو سكتت (ص١٥) عن السفَّاحة ماري تيودور اي ماري تودور (M. Tudor) فانَّ في هذه التسمية من تحامُل اعدائها البروتستانت ما لا يجهلهُ مؤرخ مُنصف وانَّما السفَّاحة الظالمة الاثيمة اختها الملكة اليصابات قاتلة ماري ستوارد والوف من افاضل بلادها ومن الكاثوليك الابرار ل . ش

شذرات

﴿ الكلّيات الكاثوليكيَّة في الولايات المتحدة ﴾ من اجلى الشواهد على انَّ الدين حليف العلم وان رافعي لواء الكثلكة هم ايضاً في مقدّمة رافعي منار العلم ما نشاهدهُ اليوم من الازدهار العجيب في الكليّات الكاثوليكيَّة بالولايات المتحدة . فانَّ عددها قد بلغ في غرّة هذا العام ٢٢ ويضمّ مجموعها نحو ١٫٩٠٠ استاذ و ٣٠٫٨٤٩ تلميذًا وكل هذه الكليّات تحت ادارة رهبنات شتى ولاسيما اليسوعيين فانَّ لهم وحدهم اثنتي عشرة كلية جامعة ولا يُستثنى من ذلك الحكم العامّ سوى كليّة واحدة يُديرها كهنة عاليون . وهاك جدول اعظم تلك الكليات باعتبار عدد الطلبة وفقاً لاحصاء غرّة هذه السنة :

١ كلية ماركيت لليسوعيين	في ميلوكي	ربحا	٣,٦١٢ طالباً
٢ كلية فُردهام لليسوعيين	في نيويرك	ربحا	٣,٩٢٤ طالباً
٣ كلية سان لويس لليسوعيين	في سان لويس	ربحا	٢,٦٧٠ طالباً
٤ كلية نتردام دولاك (Notre Dame Du Lac)	في نُتردام	لجمعية الصليب المقدس ربحا	٣,٦٦٠ طالباً
٥ كلية القديس منصور دي پول	في شيكاغو	لجمعية رسالة هذا القديس ربحا	٢,٢٩٥ طالباً
٦ كلية جورجتَون لليسوعيين	في واشنطن	ربحا	٢,٣٦٣ طالباً
٧ كلية دوكان (Duquesne)	لجمعية الروح القدس	في پتسبرغ ربحا	٢,٣٣١ طالباً
٨ كلية لويولا لليسوعيين	في شيكاغو	ربحا	٢,١٠٠ طالب

ويلي هذه الكليات الثاني الفائق عدد طلبة كل منها الالفين اربع اخرى يزيد في كل منها عدد التلامذة على الالف

ومما يبيّن فضل هذه الكليات الكاثوليكيّة المقابلة بينها وبين الكليات البروتستانيّة فانّ طلبة الكليّات البروتستانيّة لا يرضون بالانقياد لاي نظام كان فينبذون اوامر روسائهم الّا اذا وافقت اهواءهم وذلك لما طُبعوا عليهِ من روح الاستقلال والحريّة المفرطة . على خلاف تلامذة الكليات الكاثوليكيّة فانّ الدين اصلح كثيراً أخلاقهم القوميّة لاسيّما لمواظبتهم على الاسرار المقدّسة ومنذ نُشرت في كلّ انحاء العالم براءة البابا بيوس العاشر في التناول المتواتر قد اقبل عليهِ الطلبة الكاثوليك كلّ اقبال . ففي اثنا الصوم الاربعيني في العام المتصرم بلغ عدد المناولات بين طلبة احدى الكليّات الكاثوليكيّة الكبرى في الولايات المتّحدة كليّة نُتردام في مدينة انديانة ٢٥،٠٠٠ وكان عددها يتراوح بين ٤٠٠ و ٥٠٠ يوميًا في بقيّة ايّام السنة

الاب ر . نخله

﴿حامل كفنهِ﴾ قرأنا في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (طبعة ليدن ٢ : ١٨٢) ما حرفهُ : « في سنة ٢٩٩ (٩١١ م) توفي محمّد بن يحيى بن محمّد البغدادي المعروف بحامل كفنهِ كان فاضلًا وقع لهُ غريبة وهو انهُ مرض فأُغمي عليهِ فغُسل وكُفّن ودُفن فلمّا كان الليل جاءهُ نبّاش فنبش عنهُ فلمّا حلّ اكفانهُ ليأخذها استوى قائماً فخرج النبّاش هارباً فقام هو وحمل اكفانهُ وجاء الى منزلهِ واهلهِ وهم يبكون عليهِ فدقّ الباب فقالوا : مَنْ . فقال . انا فلان . فقالوا : يا هذا لا يحلّ لك ان تزيدنا على ما نحنُ فيهِ . فقال : افتحوا فوالله انا فلان . فعرفوا صوتهُ وفتحوا لهُ وعاد حزنهم فرحاً وسُمّي من حينئذٍ « حامل كفنهِ » سكن حامل كفنهِ دمشق وحدّث بها »

﴿مدينة الزهراء في الاندلس﴾ ورد في تاريخ ابن تغري بردي عن بناء هذه المدينة ما يلي : « في تاريخ سنة ٣٢٥ (٩٣٧ م) أسّس امير المؤمنين الناصر لدين الله الاموي مدينة الزهراء . وكان منتهى الإنفاق في بنائها كلّ يوم ما لا يُحدّ . كان يدخل فيها كلّ يوم من الحجر المنحوت ستّة آلاف صخرة سوى الآجرّ وغيرهِ وحُمل اليها الرخام من اقطار الغرب ودخل فيها اربعة آلاف وثلثمائة سارية واهدى لهُ ملك الفرنج اربعين سارية رخام واماً الورديّ والاخضر فمن افريقية والحوض المذهّب

غلب من قسطنطينيّة والحوض الصغير عليهِ صورة اسد وصورة غزال وصورة عُقاب وصورة ثعبان وغير ذلك والكلّ بالذهب المرصّع بالجوهر وبقوا في بنائها ستّ عشرة سنة . وكان ينفق عليها ثلث دَخل الاندلس وكان دَخل الاندلس يومئذٍ خمسة آلاف الف واربعمائة الف وثمانين الف درهم . . وبين هذه المدينة اعني الزهراء وبين قرطبة اربعة اميال وطولها الف وستمائة ذراع وعرضها الف وسبعون ذراعاً . . ولم يُبْنَ في الاسلام احسن منها لكنّها صغيرة بالنسبة الى المدائن وكان بسورها ثلثمائة بُرْج وعُمل ثلثها قصوراً للخلافة وثلثها للخدم وثلثها الثالث بساتين . . وقيل انهُ عُمل فيها بحرة ملأها بالزئبق وكان يعمل فيها الف صانع مع كلّ صانع اثنا عشر أجيراً وقد أُحرقت هذه المدينة وهدمت في حدود سنة ٤٠٠ (١٠٠٩ م) وبقيت رسومها وسورها »

﴿ فقيدان عزيزان من تلامذة كليّتنا ﴾ اولهما غبطة كيرلس مكار بطريرك الاقباط سابقاً استأثر الله بهِ في ١٨ ايّار الماضي وكان المرحوم قد تلقّى في مدرستنا الاكليريكيّة علومهُ الكهنوتيّة ولهُ عدّة تآليف تُعرب عن سعة مداركهِ . كان فُصل عن رئاسة طائفته لاسباب يطول شرحها فأتت الحرب الكونيّة وهو يعيش بيننا بكل سذاجة وتُقى فمات مزوّدًا بكل اسرار الكنيسة وقد انجز بضع ساعات قبل وفاتهِ كتاباً فنّد فيهِ ما شاع باسمهِ من الاعتراضات على سلطة الكنيسة . والثاني هو احد مكاتبي مجلّتنا فقيد الادب والدين والوطن المرحوم سليم اصفر توفّي وهو في عزّ كهولتهِ في ١٤ حزيران بعد حياة كلُّها صلاح وعمل في خدمة آلهِ الكرام ووطنهِ . وقد ابقى في مجلّة المشرق وجريدة البشير وكتاب لبنان عدّة آثار تُنبئ بمعارفهِ الواسعة في الفنون الزراعيّة والصناعيّة وقد استعدَّ للقاء ربّهِ باستعداد المسيحيّ الصادق بل الراهب الورع . افاض الله سجال رحمتهِ على الفقيدين العزيزين

﴿ خديعة ماسونيّة ﴾ اخبرنا الثقة من اصحابنا انَّ احد المتنيّن الى الشيعة الماسونيّة ادخلهُ بيتهُ وأراهُ صورة السعيد الذكر البابا بيوس التاسع . وعليهِ الاوشحة الماسونيّة مدّعياً انَّ ذاك امام الاحبار كان داخلاً في الماسونيّة . فسألنا ما رأينا في ذلك . جوابنا انَّ هذه من اكاذيب الفرمسون وتوهّماتهم التي يكفي لتفنيدها ذكر براءات هذا البابا التي وجّهها الى عموم الكنيسة فرشق الشيعة الماسونيّة بسهام الحرم المحفوظ

حلّه للحبر الاعظم راجع كراسنا الرابع السرّ المصون في شيعة الفرمسون (ص٩) فلو كان هو احد ابناء الشيعة ما لهم سكتوا ولم يذكروهُ بانضوائه سابقاً الى جمعيتهم . فانظر يا رعاك الله صحّة ما قلناهُ قبلاً انّ كلّ اعمال الماسونيّة مراء ونفاق تجري على حسب تعليم احد زعمائهم ڤولتير «اكذبوا اكذبوا فلا بُدّ ان يبقى من كذبكم بعض الاثر»

﴿ المقتطف واليسوعيّون ﴾ سرّنا ما قرأناهُ في عدد المقتطف الاخير لشهر حزيران عن بعض آثار اليسوعيّين العلميّة كمقالة الاب كورتي اليسوعي عن النجوم الجديدة (ص ٥١٥) وقد عرفنا الاب المذكور اذ كان يشتغل في مرصدنا الشهير في ستونيهرست (راجع المشرق ٩[١٩٠٦]: ٨٩٨) . وكذكره مقالات الاب هنري لامنس في المشرق (ص ٥١٠) ومقالات الاب جوليان في البشير . وكاطرائه لمرصد سكاوي في الصين وما نالهُ الآباء اليسوعيّون من الامتيازات الشرفيّة لاشغالهم الفلكيّة هناك (ص ٦١٢) فنشكر الرصينة على حسن ظنّها بعلماء رهبانيّتنا وقلّما قرأنا في صفحاتها شيئاً من ذلك سابقاً

﴿ عاديّات قدس ﴾ قدس مدينة قديمة أصبحت في الالف الثاني قبل المسيح عاصمة الحثّيين فاشتهرت بحضارتها . وقد فتحها رعمسيس الثاني في القرن السادس عشر قبل المسيح . ثمّ خربت بعد ذلك ولم يبق منها سوى ردوم تعرف في يومنا بتل نبي مندو . وقد تأثّر لها العلماء الفرنسويون آخراً حفريّات اوقفتهم على عاديّات شتّى من جملتها كتابة لرعمسيس الثاني فاتح المدينة وقد نُقلت آخراً الى متحف بيروت

﴿ المجمع العلميّ العربيّ في دمشق ﴾ قد اسعدنا الحظّ في رحلتنا الاخيرة الى عاصمة الشام ان نجتمع باعضاء المجمع العلمي العربي للافاضل الذي يسعون طاقة جهدهم في رفع منار العربيّة وآثارها . فوجدنا في رئيسهم الهمام محمّد افندي كرد علي وفي جميع اصحاب المجمع من الحفاوة باهل العلم والهمّة في ترقية العلوم الشرقيّة ما وطّد أملنا في نجاح مساعيهم الطيّبة . وكفى دليلاً على ذلك مجلّة المجمع التي ظهر منها اربعة اعداد حافلة بالمقالات الحسنة في كلّ ابواب الكتابة . زاد الله المجمع المذكور رقياً ونجاحاً

— وفاة الكاتبة زينب فوّاز — تقلنا في عددنا السابق (ص٤٧٥) عن مجلّة العرفان ان زينب فوّاز العامليّة «توفّيت في غضون الحرب» وقد افادنا احد أدباء مصر انّ وفاتها وقعت في ٣٠ صفر ١٣٣٢ (١٩ ك ٢ ١٩١٤) اي قبل الحرب بمدّة اشهر فوجب التنبيه

أسئلة وأجوبة

س سأل احد الكهنة أيجوز أن تُحط الحلّة عن الخطايا لكاثوليكيّ منتمٍ الى الشيعة الماسونيّة ؟

المنتمون من الكاثوليك الى الشيعة الماسونيّة

ج قد صرّح المجمع المقدّس غير مرّة بأن الكاهن لا يستطيع ان يحلّ كاثوليكيًّا منتسباً الى الشيعة الماسونيّة ما لم يجحد الشيعة بتاتاً ويقطع جهاراً كلّ علاقة مع اهلها

س سألنا احد المرسلين الفرنسيسيين في الصين أيوجد شهادة قديمة في كتب السريان او الكلدان عن تبشير القديس توما الرسول في بلاد الصين ؟

تبشير القديس توما الرسول في بلاد الصين

ج نعم قد وردت في ذلك شهادة في الطقس الكلداني في تسابيح عيد القديس توما تجدها في طبعة المرحوم الطيب الذكر الاب بولس بدجان اللازوري (الجزء الثالث الصفحة ٤٧٦) هذا نصّها :

ܟܕ ܩܕܡ ܬܐܘܡܐ ܫܠܝܚܐ ܠܒܝܬ ܕܐܒܗܘܗܝ ܥܡ ܫܘܒܚܐ ܟܕ ܩܕܡ ܬܐܘܡܐ ܫܠܝܚܐ ܠܡܢܛܝܐ ܠܥܡ ܥܒܪܬܐ ܕܐܪ ܥܒܪܬܐ

تعريبها : « بواسطة مار توما تلاشت اضاليل الوثنيّة من بين اهل الهند . بواسطة مار توما الصينيّون ايضاً مع الحبش رجعوا الى الحق » . وقد اثبت العلماء ان هذه الصلوات الكلدانيّة من اقدم الآثار الكنسيّة ترتقي الى نحو القرن الرابع للمسيح

ومن الآثار الصينيّة التي تؤيّد صحّة هذا الخبر قولهم انّ رجلاً من الزهّاد اسمهُ تامو قدم من الغرب الى الصين وكان على صدرهِ صليب وبشّر بشريعة الهيّة . فتامو هذا الذي يكرمهُ الصينيّون كأحد الفلاسفة العظام ويصوّرون صورتهُ في معابدهم قد ذهب كثير من العلماء انهُ الرسول توما(١) . والله اعلم ل . ش

(١) اطلب L. Gaillard s. j ; *Croix et Swastika, p.* 80 *ss* 9.